الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
République Algérienne Démocratique et Populaire

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة أكلي محند أولحاج
-البويرة-
كلية العلوم الإجتماعية والإنسانية

Ministère de l'Enseignement Supérieur
et de la Recherche Scientifique
Université Akli Mohand Oulhadj - Bouira -
Tasdawit Akli Muḥend Ulḥağ - Tubirett -
Faculté des Sciences Sociales et Humaines

قسم: التاريخ

الموضوع:

الحمامات العثمانية في مدينة قسنطينة ومميزاتها المعمارية والاجتماعية

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر في تخصص تاريخ الجزائر الحديث

إعـداد الـطـالـبتين:

العمري منى الياقوت

زريفي يسرى

تـحـت إشـــراف الأستاذ (ة):

زروق نادية

السنة الجامعية: 2022/2021م

بسم الله الرحمان الرحيم

شكر وتقدير

*قال الله تعالى: "فاذكروني أذكركم واشكروا لي ولا تكفرون" **البقرة/152***

ومن لا يشكر الله لا يشكر العبد، ومن لا يعترف بأفضال الناس عليه يكون ناكرا للجميل.

فالحمد لله الذي هدانا وأوقد فينا شعلة العلم، وزرع في نفوسنا حب الاجتهاد والمثابرة والنجاح.

*واعترافا بكل ما قدمته من توجيهات ونصائح أتقدم بجزيل الشكر والتقدير إلى الأستاذة الفاضلة والمحترمة " **زروق نادية**" لقبولها الإشراف على هذا العمل المتواضع وعلى تشجيعها وتحفيزها لنا وعلى كل توجيهاتها السديدة.*

وفي الأخير لا يفوتنا أن نتقدم بخالص الشكر لكل من ساعدنا من قريب أو بعيد ولو بالكلمة الطيبة في إنجاز هذه المذكرة المتواضعة.

إهداء

أهدي هذا العمل المتواضع إلى كل من قال فيهما سبحانه وتعالى: " وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا" أمي وأبي الحبيبين.

إلى من تعب من أجلي و لايزال يتعب إلى أطيب شخص عرفته في حياتي، إلى الرجل العظيم الذي أحاطني بالحب والرعاية وبذل الكثير من أجلي، إلى من رباني وأحسن تربيتي، إلى من يحترق صمتا لينير لي طريق البر والأمان....."

أبي العزيز

إلى الصدر الحنون والدافئ إلى التي حملتني وهنا على وهن ومنحتني كل الحب والحنان إلى أقرب شريان إلى قلبي إلى من تفتحت عيناي عليها...."

أمي الغالية

*إلى من ترعرعت معصم وتقاسمت معصم حلو الحياة ومرها، **إخوتي** " **حمزة، عمر، بلال، محمد، خالد**"*

*إلى من تقاسمت معصم عناء وتعب هذه المذكرة الصديقة المخلصة " **العمري منى**" إلى من تقاسمت معصم حلو الأيام الجامعية ومرّها " سهام، إيمان، مروة، أية، دنيا"*

إلى كل من عرف يسرى وأحبها لكم مني كل التحية والإخلاص.

زريفي يسرى

إهداء

إلى قدوتي في الحياة....إلى الضوء الذي ينير دربي بين العتمات...إلى من علمني أن أصمد أمام العقبات....إلى من أعطاني ولم يزل يعطي بلا حدود إلى من افتقر وجودة في هذا الكون إلى من أرفع رأسي به وأفديه بروحي

أبي الكريم.

إلى من جعل الله جنة تحت أقدامها....إلى من أعطتني الأمل في هذه الدنيا.... إلى سندي في الحياة.... إلى من عبدت لي طريق النجاح بدعواتها وابتساماتها، بارك الله في عمرها وأمدها بالصحة والعافية...

أمي الغالية.

*إلى الذين ظفرت بهم هدية من الأقدار إخوة، فعرفوا معنى الأخوة...إخوتي الأحباء على قلبي " **هدى، خليل، دعاء**" وكل العائلة الكريمة.*

*إلى من حملتهم ذاكرتي ومن لم تستعصم مذكرتي، إلى كل زملاء الدراسة أعانهم الله ووفقهم وسدد خطاهم...وأخص **بالذكر** " **نسيمة، ياسمين، نضال**".*

إلى كل هؤلاء أهدي ثمرة جهدي وعملي المتواضع.

العمري منى

قـــائمة المختصرات:

(د.ت): دون تاريخ.

تح: تحقيق.

تع: تعريب.

تر: ترجمة.

ص: صفحة.

ج: الجزء.

ط: الطبعة.

تق: تقديم.

(....): حذف لفظ، جملة أو أكثر من القول المستشهد به.

Op-cit : ouvrage précité.

P : page.

Art : article.

مـــقدمة

مـــــــقدمة:

تعد مدينة قسنطينة من بين أقدم هذه المدن التي تعاقبت عليها حول الحضارات السابقة في مراحلها التاريخية المختلفة والتي مازالت قائمة آهلة حتى اليوم فقد حظيت هذه المدينة بالسيادة والزيادة على الشرق الجزائري طيلة فترة الحكم العثماني للمنطقة، كما اكتسبت رصيدا معماريا غنيا وهاما، كله وفق الطراز العثماني الذي كان يتميز بكثرة الزخرفة والدقة المتناهية الجمال.

وفي ظل التطور الذي بلغته مدينة قسنطينة سياسيا وتجاريا واقتصاديا وعمرانيا تطور بذلك النظام المعماري للحمامات، فمن هذا المنطلق اخترنا أن يكون موضوع دراستنا الحمامات العثمانية في مدينة قسنطينة ومميزاتها المعمارية والاجتماعية محاولين بذلك إعطاء صورة واضحة لطراز الحمامات العثماني بقسنطينة وإبراز أهميتها الاجتماعية.

وللموضوع أهمية كبيرة لأنه يشمل التعريف بالتراث المعماري العثماني في مدينة قسنطينة من خلال دراسة الحمامات خاصة وأن هذه المنشآت المعمارية لم تنل قدرها الوافي من الدراسة والبحث من قبل المتخصصين، فأردنا أن نكشف من خلال بحثنا تأثر العمران الجزائري بالعمارة العثمانية بتسليط الضوء على حمامات مدينة قسنطينة التي صنعت الحدث بعمارتها الفريدة مع إبراز الدور الاجتماعي والصحي في الحياة اليومية لسكان مدينة قسنطينة.

وان التطرق إلى محتوى هذا الموضوع توجب طرح الاشكالية التالية:

- ما هي أهم الحمامات العثمانية في مدينة قسنطينة وما هي مميزاتها المعمارية والاجتماعية؟

ودعمنا الإشكالية الرئيسية باشكليات ثانوية وهي:

- ما هي أهم المرافق المدنية والدينية في قسنطينة؟ وما مدى تأثيرها على الطبيعة العمرانية؟

– ما هي الطبيعة العمرانية للحمامات العثمانية؟ وفيم تجلى دورها؟

– فيم تكمن أوجه التشابه والاختلاف بين حمامات الجزائر وحمامات قسنطينة؟

ولتحليل عناصر هذه الخطة اعتمدنا على مناهج مختلفة تنوعت ما بين المنهج الوصفي لوصف مدينة قسنطينة ومعالمها الأثرية والمنهج المقارن للمقارنة بين حمامات قسنطينة وحمامات الجزائر ولمحاولة معرفة أسباب التقارب والاختلاف بينهما استعملنا المنهج التحليلي كل هذا تم في قالب تاريخي لما يحتويه الموضوع من أحداث تاريخية متسلسلة تسلسلا كرونولوجيا.

وللإجابة على كل هذه التساؤلات تم تقسيم البحث إلى ثلاثة فصول وخاتمة.

فالفصل التمهيدي هو عبارة عن مدخل وتمهيد لموضوعنا جاء تحت عنوان لمحة عامة عن إقليم مدينة قسنطينة احتوى على الإطار الجغرافي والتاريخي للمنطقة أثناء التواجد العثماني في المنطقة.

وإن الفصل الأول فقد حمل عنوان التطور المعماري لمدينة قسنطينة خلال العهد العثماني والذي احتوى بدوره على ثلاثة مباحث، جاء المبحث الأول منه تحت عنوان وصف مدينة قسنطينة يتناول هذا المبحث وصف الرحالة والجغرافيين لهذه المدينة وكذا أبوابها وشوارعها....إلخ، ويليه البحث الثاني بعنوان المعالم الدينية في مدينة قسنطينة حيث تطرقنا فيه إلى المساجد والمدارس والزوايا والأضرحة، في حين حمل المبحث الثالث عنوان المعالم المدنية في مدينة قسنطينة والذي تم التطرق فيه إلى أسواق المدينة والقصور والمنازل والفنادق.

وأما الفصل الثاني تطرقنا إلى الحمامات العثمانية في مدينة قسنطينة والذي احتوى على مبحثين، جاء المبحث الأول تحت عنوان الحمامات العثمانية في قسنطينة، أما المبحث الثاني فقد جاء تحت عنوان العناصر الزخرفية للحمامات العثمانية في قسنطينة حيث تطرقنا

فيه إلى أهم مواد البناء والعناصر الهندسية الزخرفية ومقارنة بين حمامات قسنطينة وحمامات الجزائر.

وتناولنا في **الفصل الثالث** والأخير دور الحمامات العثمانية في مدينة قسنطينة وقد تفرع بدوره إلى مبحثين، حمل المبحث الأول عنوان الدور الاجتماعي للحمامات في مدينة قسنطينة، أما المبحث الثاني فقد جاء تحت عنوان الدور الصحي للحمامات في مدينة قسنطينة، لننتهي بخاتمة التي هي عبارة عن استنتاج الموضوع المدروس.

ولقد اعتمدنا في دراستنا لهذا الموضوع على مجموعة من المصادر والمراجع والرسائل الجامعية والمقالات ومن أبرز المصادر التي اعتمدنا عليها نذكر:

- أحمد بن مبارك ابن العطار " **تاريخ بلد قسنطينة**" الذي أفادنا في وصف مدينة قسنطينة.
- قندلين شلومر " **قسنطينة أيام أحمد باي**" والذي أفادنا كثيرا خاصة فيما يتعلق بالمعالم الأثرية.
- مؤلف مجهول " **مذكرات أحمد باي**".
- سيدي الحسين بنو محمد الورثلاني " **نزهة الأنظار الرحلة الورثلانية**".
- وليام بستر " **الجزائر في عهد رياس البحر**".
- الحسن بن محمد الوزان الفاسي " **وصف إفريقيا**".

أما عن أهم المراجع نذكر:

- لعروق محمد الهادي " **مدينة قسنطينة دراسة في جغرافية العمران**".
- فاطمة الزهرة قشي " **قسنطينة في عصر صالح باي البايات**".
- أبو القاسم سعد الله " **تاريخ الجزائر الثقافي**".
- العربي إسماعيل " **المدن المغربية**".

هذه المراجع كلها أفادتنا في وصف مدينة قسنطينة تاريخيا وجغرافيا.

ومن الرسائل الجامعية التي اعتمدنا عليها نذكر:

- أعرب فهيمة " **ملحق مذكرة التراث والسياحة (من خلال مدينة قسنطينة)**".
- سناء شيخي " **الحياة الاجتماعية والثقافية في مدينة قسنطينة أواخر العهد العثماني**".
- فرحي فتيحة " **المساجد والعمران في الجزائر خلال العهد العثماني**".
- فيفي بن قارة محمد " **الأسواق التجارية للجزائر خلال العهد العثماني**".

كما اعتمدنا على مقالات هامة والتي تصف لنا الجانب المعماري للمدينة وهي:

- دصوح عبد القادر " **المعالم الأثرية الإسلامية بمدينة قسنطينة خلال الفترة العثمانية**".
- فاطمة الزهرة قشي " **معالم قسنطينة وأعلامها**".
- بن حم محمد " **حمام سوق الغزل بقسنطينة**".
- أحمد عميراوي " **قسنطينة في عيون الرحالة والجغرافيين**".

أما المراجع الأجنبية نذكر:

-Samira Debache Benzagouta, the Reux of Hammam Sup Al ghezal Towards a sustainable future.

- Khedidja, Adel, Nouria Benghabrit, Hammam; pratiques et rituels aujourd'hui.

- Teddy Alzieu, Mémoire en images, constantine.

- Abdelmadjid Merdaci, constantine citadelle des vertiges photos Kouidar Metair paris, 2000, p 50.

وخلال مسارنا في إنجاز هذا الموضوع المتواضع صادفتنا صعوبات وهي صعوبات موضوعية منها عدم توفر الوثائق التاريخية.

عدم توفر المصادر المتخصصة في موضوعنا (حمامات قسنطينة)

ويبقى بحثنا هذا محاولة متواضع لكتابة تاريخ الجزائر الحديث أملا منا أن يستفيد منه الباحثين.

والله الموفق.

الفصل التمهيدي: التعريف بمدينة قسنطينة جغرافيا وتاريخيا.

المبحث الأول: جغرافية مدينة قسنطينة.

المطلب الأول: الموقع الفلكي.

المطلب الثاني: الموقع الإقليمي.

المطلب الثالث: المناخ.

المبحث الثاني: تاريخ مدينة قسنطينة.

المطلب الأول: قسنطينة عبر تاريخها القديم.

المطلب الثاني: قسنطينة عبر تاريخها الإسلامي.

المطلب الثالث: قسنطينة خلال الفترة العثمانية.

تعد مدينة قسنطينة واحدة من أقدم المدن في المغرب العربي لها ما يقارب من 2500 عام من التاريخ، كما اشتهرت منذ نشأتها بعدة مميزات قلها اجتمعت في مدينة واحدة فهذا هو موقعها المميز منحها حصانة طبيعية وجذب إليها أطماع الكثير من الأمم فمنها من تمكن من إخضاعها لحكمه لمدة من الزمن والبعض فشل، فقد شهدت الفينتفين والنوميدين الذين كان لهم الفضل في جعل مدينة قسنطينة سوق عالمية ثانية ليليهم الرومان تاركين آثار رومانية لا تزال قائمة إلى يومنا هذا، بالإضافة إلى الوندال والبيزنطيين إلى غاية مجيء الإسلام حيث احتضنت عدة دويلات ساهمت هي الأخرى في التطور الحضاري لهذه المدينة، كما خضعت إلى الحكم العثماني الذي كان له الدور البارز في تطوير هذه الأخيرة من جميع الجوانب السياسية، الإدارية، الاقتصادية، الاجتماعية والعمرانية.

المبحث الأول: جغرافية مدينة قسنطينة

تعتبر مدينة قسنطينة من إحدى المدن الجزائرية الهامة وأقصدها بتراثها العريق حيث توافد عليها العددي من الحضارات التي ساهمت في تكوينها الحضاري والثقافي مما جعلها تتمتع بمكانة في جميع المجالات والفضل يعود إلى الموقع الجغرافي والأقاليم المناخية المتعددة، هذه الأخيرة ساهمت في جلب العديد من السياح الأجانب المذكورة في كتب الرحلات والجغرافية هذا ما زاد من أهمية المدنية.

المطلب الأول: الموقع الفلكي:

تعتبر مدينة قسنطينة من المدن الجزائرية الأكثر عراقة وقدما، تقع على صخرة عالية ومحصنة طبيعيا[1]، تقع مدينة قسنطينة فلكيا بين خطي طول °7.35 ودائرتي عرض 23°، 36° شمالا[2]، إذ تعتبر من أكبر المناطق الجزائرية مساحة وسكان والأكثر نشاطا اقتصاديا كونها تتوسط إقليم الشرق الجزائري[3]، إذ تبعد عن الحدود الجزائرية التونسية بحوالي 437 كلم شرقا، وعن الجزائر العاصمة بحوالي 437 كلم غربا وعن مدينة بسكرة بحوالي 231 كلم جنوبا[4].

ويقول وليام شالر: " أن قسنطينة تقع على نهر يسمى الرمل على مسافة نحو أربعين ميلا من البحر 20 و 36° درجة عرض شمالي 30 و6 درجة طول شرقي وهي بتلك تحتل منطقة متميزة بالنسبة لشرق دولة الجزائر "[5].

1- عمار بوطبة، المجتمع القسنطيني من خلال جريدة النجاح 1919م -1956م، مطبعة بابل، الجزائر، 2015، ص 27-28.

2- محمد الهادي لعروق، مدينة قسنطينة دراسة في جغرافية العمران، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1984، ص 14.

3- عمار بوطبة، المرجع السابق، ص 28.

4- سناء شيخي، الحياة الاجتماعية والثقافية في مدينة قسنطينة أواخر العهد العثماني، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر في التاريخ، جامعة عمار محمد بوضياف، المسيلة، 2020-2021، ص 06.

5- وليام شالر، مذكرات وليام شالر قنصل أمريكا بالجزائر (1816-1824م) تج، تق، إسماعيل العربي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982، ص 36.

كما يكرها أبي حسن علي بن موسى بن سعيد المغربي في كتابه الجغرافيا: " وموضع قسنطينة في جنوبيها حيث الطول 26° و 40 دقيقة والعرض 33درجة و 22 دقيقة ولها نصر ينصب في خندقها العظيم الشرقي يسمح له دوي هائل دائر من أعلى المدينة في قعر الخندق مثل ذؤابة النجم لبعد المسافة وهذه المدينة على أخر سلطة بجاية"[1].

المطلب الثاني: الموقع الإقليمي:

تعتبر قسنطينة من أكبر المناطق الجزائرية حيث تتربع على مساحة تقدر ب 18168 هكتار ويسكنها أكثر من 700.000 نسمة لذلك تعتبر من بين الأقاليم الأكثر نشاطا اقتصاديا في البلاد[2].

قسنطينة مدينة وقلعة الذي عرفها المؤرخين أمثال ياقوت الحموي بقسنطينة الهوى فهي قلعة حصينة وعالية لهذا سميت بقلعة الهوى لشدة ارتفاعها والوصول إليها صعب حتى أن الطير لا يصلها إلا بجهد تمتد منخفضة حتى تتساوى الأرض توجد حولها مزارع كثيرة يجوبونها عرب تونس من أجل اقتناء حاجاتهم الغذائية وطلب الكلأ[3].

إذ تمتد مدينة قسنطينة من البحر شمالا إلى وراء بسكرة وواد سوف في حوض ريغ وإيغرغر جنوبا[4] ويحدها شرقا تونس إلى ما وراء إقليم نوغة أما غربا برج حمزة وسفوح جرجرة[5]، إذ تقع مدينة قسنطينة فوق صخور وعرة تحيط بثلاثة أرباعها وفي هذه الصخور يسيل نصر يطلق عليه اسم الوادي الكبير يمر من الجهة الجنوبية والشرقية والشمالية في

1- أبي حسن علي بن موسى بن سعيد المغربي، كتاب الجغرافيا، تح إسماعيل العربي، ط1، منشورات المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1970م، ص 142.

2- سفيان بودراع، سيرتا من خلال النقشات اللاتينية المحفوظة بالمتحف الوطني سيرتا، (د.ت)، قسنطينة، ص 103.

3- ياقوت الحموي، أبي عبد الله شهاب الدين، معجم البلدان، ج4، دار صادر، بيروت، ص 349.

4- محمد صالح بن العنتري، فريدة منسية في حال دخول الترك بلد قسنطينة، صر تح يحي بوعزيز، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر، ص 17.

5- طاهري عبد الحليم، حماية المنشآت المعمارية من التخريب والهدم وصيانتها، منشآت صالح باي بالشرق الجزائري 1772، 1892م، دراسات في آثار الوطن العربي، ص 1606.

المدينة، لذلك لا يمكن أن تهاجم المدينة المدينة من الناحية الشرقية، وعند الخروج من المدينة يحد قبالة باب السوق الذي يسمى كدية عاتي وترتبط من الجهة الجنوبية الغربية سلسلة صغيرة من الجبال تحيط بها مقبرة في الاتجاه الجنوبي[1].

وفي هذا الصدد قال أحمد توفيق المدني:" هي أهم المدن من الناحية الشرقية ومركز للإدارة والتجارة والثقافة وهي أبدع مدن القطر الجزائري من حيث الموقع الطبيعي فهي مدينة مبنية على جسر في صخرة بينهما وادي الرمال[2].

حيث يلتقي وادي الرمال بوادي بومرزوق الآتي من الجهة الشرقية في المكان المعروف بدار الأقواس (العنايا القديمة) في الشمال الشرقي المدينة ينصب جبل المنصورة في اتجاه جنوبي شرقي إلى الشمال الغربي فالبرغم من أن هذه الجبال لا تحتوي على أشجار إلا أنها تستغل في الزراعة[3].

وبهذا يمكن القول بأن مدينة قسنطينة مدينة عريقة بحضارتها فالتاريخ يشهد لها خاصة ما قدمته على المستوى التجاري حيث كانت تشكل نقطة عبور لمختلف الطرق التجارية ومسلك إجباري من الشرق إلى الغرب ومن الشمال إلى الجنوب ونجد أن الكبرى وصفها قائلا: " هي مدينة أولية كبيرة آهلة ذات حصانة وصناعة وليس يعرف أحصن منها وهي على ثلاثة أنصار عظام تجري فيها السفن وقد أحاطت بها تخرج من عيون تعرف بعيون اشقار– تفسيرة السود– وتقع هذه الأنهار في خندق بعيد القعر متناهي البعد[4].

كما تحيط بمدينة قسنطينة الجبال من كل الجهات فيحدها شمالا سيدي دريس وسيدي مسيد وجنوبا هضبة عين الباي كما يحدها من الغرب جبل شطابة 1316م وجبل الوحش من

1– فندلين شلوصر، قسنطينة أيام أحمد باي 1832م–1837م، تر، تق أبو العيد دودو، ص 73–77.

2– أحمد توفيق المدني، كتاب الجزائر، ص 231–232.

3– طاهري عبد الحليم، حماية المنشآت المعمارية من التخريب والهدم وصيانتها، منشآت صالح باي بالشرق الجزائري 1772–1892م، دراسات في آثار الوطن العربي، العدد 18، (د.ت)، ص 1606.

4–عواطف بن دخة، مساجد قسنطينة ودورها في الحفاظ على الهوية الوطنية 1837–1940م، مذكرة ماستر، كلية العلوم الإنسانية، تاريخ عام، جامعة بسكرة، 2018–2019م، ص 07.

الشرق 1281م[1]، إن الموقع الإقليمي لمدينة قسنطينة يعد أحد أهم الأقاليم في المغرب العربي كونه يحتوي على العديد من المميزات خاصة أنه يتوسط إقليم الشرق الأوسط ويقع في إقليم التل في الشمال ما سمح له بربط الطرق بين المدن الجزائرية وإقليم الهضاب العليا في الجنوب[2].

المطلب الثالث: المناخ:

إن مناخ مدينة قسنطينة يمتاز بالعديد من الخصائص في المناطق الداخلية للجزائر حيث أنه يخضع لانخفاضات جوية التي تصله من الغرب إلى الشرق الناجمة عن تقارب مياه البحر الأبيض المتوسط مع التيارات المحيطة الباردة وبما أن المدينة تقع في منطقة تحدها من الجنوب الصحراء جعلها تتميز بمناخ شبه قاري نتيجة تأثره بالتيارات الصحراوية الآتية من الجهة الجنوبية والمؤثرات البحرية من الشمال، هذه الأخيرة جعلت مدينة قسنطينة تمتاز بقلة تساقط الأمطار التي تصل 200 إلى 400 ملم من الأمطار سنويا فتسقط الأمطار في فصل الخريف والشتاء وتهطل بشكل نسبي خلال فصل الصيف، هذا نتيجة هبوب الرياح من الجنوب الشرقي مؤدية إلى ندرة الأمطار وارتفاع درجة الحرارة[3].

فمناخ مدينة قسنطينة حار وجاف صيفا وممطر شتاءا هذا ما جعلها تعرف الاستقرار البشري لأكثر من ثلاث آلاف سنة[4].

وخلاصة القول أن هذا الموقع والمناخ المميز جعل المدينة تبقى وتصمد وتستمر في الوجود بل جعلها تصنع التاريخ والحضارة وأن سر بقاء مدينة قسنطينة واستمرارها كمدينة لها وزنها وتقلها بالمنطقة يعود لموقعها الاستراتيجي الهام الذي جعلها تحظى بالأفضلية على المواضع

1- أعراب فهيمة، ملحق مذكرة التراث والسياحة (من خلال مدينة قسنطينة)، دراسة تاريخية أثرية، بحث مقدم لنيل شهادة الماجيستر في التراث والدراسات الأثرية 2010-2011م، ص 132.

2- نفسه، ص 133.

3- العياشي هواري، المسكن بمدينة قسنطينة خلال العهد العثماني (دراسة تاريخية أثرية)، مذكرة لنيل شهادة الماجيستير في التراث والدراسات الأثرية، جامعة منتوري قسنطينة، 2010-2011، ص 10-11.

4- سفيان بودراع، المرجع السابق، ص 103.

المجاورة الأخرى والتي تتمتع بإمكانيات اقتصادية وتتوفر على مساحات شاسعة قابلة للتوسع والتطور.

المبحث الثاني: تاريخ مدينة قسنطينة

لقد كان لموقع مدينة قسنطينة الاستراتيجي أهمية كبرى عبر الحقب والفترات الزمنية، حيث أنه كان سببا أساسيا في استقرار العددي من الحضارات بها بداية بالحضارة التوحيدية، البيزنطية، الرومانية مرورا بالحضارة العربية الإسلامية ممثلة في الزيرين، الحماديين والحفصيين وانتهاءا بالعثمانيين الذين كان لهم الدور البارز في تطورها الحضاري عبر التاريخ.

المطلب الأول: قسنطينة عبر تاريخها القديم:

سيرتا (Cirta) قسنطينة حاليا فيبقى الأصل وأنه تحريف للاسم الحقيقي الذي هو كرتن (Crtn) ومعناه المدينشير إلى سيرتا في إحداث نهاية القرن الثالث ق.م التي جرت بين سفاقس من جهة وغايا وابنه ماسينيسا من جهة أخرى[1].

ومن الممكن أن تحدد فترة انشاء مدينة قسنطينة ما بين القرن الرابع ق.م والقرن الثالث ق.م وهي الفترة التي نشأت فيها عدة مدن نوصيدية، إذ بدأت قرية صغيرة ثم تطورت مع مرور الزمن إلى مدينة كبيرة وأصبحت فيما بعد عاصمة سياسية وإدارية[2].

ومما يجدر الإشارة إليه أن " **سيفاكس**" قبل أن ينتصر عليه " **ماسينيسا**" اتخذ مدينة قسنطينة عاصمة له بصفة مؤقتة وكان ذلك حوالي 203 ق.م لفترة قصيرة من الزمن لأن عاصمة سيفاكس الدائمة كانت بالقرب من عين تموشنت وغير بعيدة عن جزيرة" **رشقون**"[3]، وبعدما آلت إلى الملك ماسينيسا بعد تحالف هذا الأخير مع الرومان وتميزت

1- محمد صغير غانم، معالم التواجد الفينيقي البوفي في الجزائر، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، (د.ت)، ص 227.

2- عبد العزيز فيلالي، مدينة قسنطينة تاريخ، معالم، حضارة، دار الهدى، الجزائر، 2007، ص 11.

3 - أحمد سليماني، تاريخ المدن الجزائرية، دار القصبة، الجزائر، 2007، ص 130.

العاصمة سيرتا في عهد الملك بمكانة اقتصادية مرموقة، فاحتلت الصدارة في تصدير العديد من المنتوجات منها القمح، الصوف، الجلد وحتى الزيت[1].

كما تعتبر أهم محطة لمرور القوافل التجارية وسوق عالمية ثانية بعد مدينة " **قرطاج**" إذ تلتقي فيها معظم التيارات التجارية المتنقلة من الشرق إلى الغرب ومن الشمال إلى الجنوب وهو الأمر الذي أكسبها طابع مميز[2]، وقد كانت لمدينة سيرتا أراضي زراعية تحيط بها وقرى خارج أسوارها تابعة لها إداريا وسياسيا ومن بين هذه المدن " **تيديس**" **و** " **بونوارة**" **و** " **صيلة**" وغيرها من المدن المجاورة لها شرقا وغربا، شمالا وجنوبا كلها تدور في فلك قسنطينة وتعتبر في نفس الوقت الخط الدفاعي الأمامي والعمق الاستراتيجي العسكري لها.

وقد أثرت الحضارة الفينيقية التي سبقت الاستقرار بسيرتا على المجتمع فاصطبغت عليه مظاهر حضارة قرطاج التي نالت إعجاب الملك ماسينيسا حتى أصبحت العادات والتقاليد واللغة والكتابة الفينيقية المتعامل بها هي السائدة في المدينة وبفعل هذا التأثير الواسع للفينيقيين في أوساط المجتمع القسنطيني سعى ماسينيسا إلى استقطاب الجاليات النوميدية والإيطالية وحتى الإغريقية لإضعاف العنصر الفينيقي في المدينة[3].

كما اشتهرت سيرتا بكثرة الآثار والمعالم البونيق في تلك الفترة والتي تركزت في أماكن معينة منها: موقع الصخر، المقبرة المسيحية، سيدي مبروك كدية عقي...[4].

وبعد فترة حكم ماسينيسا جاء " يوغرطة" الذي اتخذ " سيرتا" أو " قرطا" عاصمة له ومنطلق للمقاومة النوميدية حيث أعلن يوغرطة الحرب على الرومان في الفترة الزمنية الممتدة من 111-106 ق.م إلى أن وقعت المدينة في يد قسطنطين[5].

1- العياشي هواري، المرجع السابق، ص 11.

2- عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ص 12.

3- نفسه، ص 14-15.

4- محمد الصغير غانم، المرجع السابق، ص 227.

5- أحمد سليماني، المرجع السابق، ص 11.

بعد التوسع الروماني في إفريقيا الشمالية خاصة بعد الحروب البونية الثلاثة ضد قرطاجة استطاع الرومان مد نفوذهم إلى " نوميديا" حيث كان الرومان منذ فترة طويلة ينظرون إلى مدينة قسنطينة كما ينظرون إلى قرطاج بعين التوجس والرغبة في الاستئثار بها لموقعها الاستراتيجي والجغرافي وحصانتها والمكانة التي تبوؤتها في ميدان الاقتصاد فقاموا باحتلالها سنة 112 م لتصبح بعد ذلك مستعمرة رومانية وتحولت فيما بعد إلى عاصمة الكنفذرالية المستعمرات الأربع[1]، وهي " ميكاف" (ميلة حاليا)، " شولو" (القل حاليا)، روسيكادا (سكيمدة حاليا)، وكان لكل مستعمرة من هذه المستعمرات والتي يحكمها لمدة سنة موجه من طرف القضاة، أما مجلس الكنفذرالية السيرتية فقد كان موجه من طرف مجلس الديكوريونات (أعضاء المجلس البلدي) الذي كان يراقب نشاط الحكام البلدين واستمر تسيير الكنفذرالية السيرتية إلى غاية القرن الثالث ميلادي[2].

فبعد دخول الرومان إلى المدينة تدهورت الأوضاع السياسية والداخلية للمدينة وهذا يعود إلى رد فعل الأهالي الذي كان رافضا للوجود الروماني داخل المدينة والذي مثل موقفه بعدة هجومات[3]، تزعمها في بداية الأمر الملك يوغرطة الذي قاوم فترة من الزمن، ليأتي بعده كبار النوميديين حاملين لشعار " إفريقيا للأفارقة"، بالإضافة إلى ما شهدته هذه المدينة من تخريب بسبب الحرب الأهلية الرومانية التي كانت السبب الرئيسي في تهديم المنشآت بالمدينة وكان ذلك سنة 311م، لتقع بعدها في يد الملك قسطنطين سنة 312 م فظلت هذه المدينة على حالها من التخريب والدمار لمدة سنتين، إلا أن أمر ملك قسطنطين الأكبر (271م- 337م) سنة 313 م إلى بناء ما تهدم منها وترميم أسوارها وأعاد لها مجدها

1 - ERNEST MERGIER , Histoire de Constantine, interprète traducteur ASSERMENT Chevalier de la légion honneur officier de l'instruction publique, j.MARLE et f. Biron, imprimeurs éditeurs 51, Rue Damrémont.1903, p 49.

2- سفيان بودزاع، المرجع السابق، ص 113-114.0

3- هابنستزايت ج.أو، رحلة العالم الألماني: ج، أو، هابنسترايت إلى الجزائر وتونس وطرابلس 1145-1732م.تج، ناصر الدين سعيد وني، دار الغرب الإسلامي، تونس، ص 88-89.

السابق[1]، متخذة بذلك اسما جديدا بنسبة إليه فسميت "**Constantine**" وحرفها العرب إلى اسم " **قسنطينة**"[2].

* لتعود بعدها إلى مسرح الأحداث على يد هذا الأخير الذي أعاد لها مكانتها التي كانت تحتلها من قبل كعاصمة إقليمية لها وزن سياسي واقتصادي وثقافي في المنطقة، فسمى إلى تنشيط التجارة والمبادلات التجارية مع الدول المجاورة، فالرومان كغيرهم ممن سبقهم إلى هذه المدينة لم يغفلوا عن تأكيد سيطرتهم التجارية وكانت مواصلاتها مع بقية أنحاء العالم مضمونة مستقرة بواسطة القوافل والطرق التجارية خاصة تلك المتجهة إلى قرطاجة وروزيكاد عن طرق البحر والتي اعتبرت من أهم أسواقها لبيع الحبوب والخمور والزيوت، فقد اشتهرت قسنطينة في ذلك الوقت بتصدير الحبوب بشكل كبير، وقد قامت على جانبي هذه الطرق التجارية بعض المراكز العمرانية الصغيرة لخدمة القوافل التجارية والتي تحولت فيما بعد إلى أسواق استهلكت لمنتجات المدينة[3].

كما عمل الرومان على استقطاب جاليات جديدة من السكان فزاد عدد سكانها وبذلك امتد عمرانها خارج أو سوارها حتى وصل إلى سفوح جبل شطابت[4]، متخذا حيزا جماليا ساحرا في المدينة ومن أهم تلك المعالم الحضرية حسب "Mercie" هي الأروقة وجسر القنطرة حيث يقول: " على الرغم من ثروات متحفها والفقوش العديدة التي ظهرت على جدرانها احتفظت سيرتا فقط ببقايا قليلة مرئية من العهد الروماني وهي: الأروقة وجسر القنطرة هما الشاهدات الأكثر وضوحا على روعة تشهدها النصوص والتاريخ...[5]، وبعض

1- عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ص 19-20.

2- سفيان بودزاع، المرجع السابق، ص 116.

3- محمد الهادي لعروق، مدينة قسنطينة دراسة في جغرافية العمران، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1984م، ص 72.

4- عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ص 21.

5 - Mercie (E) ; opcit.p.33.

المعالم الأخرى الي تكتفي بذكرها كالمعبد الروماني capital الذي كان يحتل المكان الحالي لثكنة القصبة ويقع بأعلى نقطة في المدينة، بالإضافة إلى مقبرة عند مخرج المدينة.

واهتموا بتوفير كل المرافق الضرورية للحياة الحضرين، فاهتموا بتوفير شبكات المياه فقاموا بجلب المياه من منابع جبل الوحش[1]، وكان لكل مسكن بالمدينة صهريج ماء، بالإضافة إلى عدد من الصهاريج بالساحات العمومية والأسواق والحمامات التي كانت من أهم سمات الحياة الحضرية آنذاك[2].

فإذا قارنا بين التخطيط المعماري لمدينة قسنطينة في ذلك الوقت نجده مشابها للتخطيط العمراني الذي كان في مدينة روما أو ضرورة طبق الأصل إن صح التعبير في مؤسساتها وبناياتها ومعابدها...، كما صاحبت هذه النهضة الاقتصادية والحضرية تقدم في العلوم والثقافة فقد برز في التاريخ الروماني لشمال إفريقيا العديد من الأدباء والعلماء والخطباء الذين أنجبتهم هذه المدينة العريقة، وبعد 15 قرنا من حكم الرومان في هذه المدينة وخلت قسنطينة فترة من التراجع والضعف بعد أن كانت أهميتها الإستراتيجية سببا في جلب أطماع الغزاة فشهدت عدة غزاة بعد الرومان[3].

ثم دخلت قسنطينة تحت الحكم الوندالي في العقد الثالث من القرن الخامس والذي استمو قرنا من الزمن[4]، أي من 432 م إلى غاية سنة 534 م[5]، وقد جاء تعريف الوندال حسب شاوش صالح وبن شريف مريامة في كتاب " **رحلة في تراث المغرب العربي**" على أنهم شعب من أصل جرماني من الجزء الشرقي خصوصا يتكونون من هاستينغ والقوط والقوط الغربيون والوندال قاموا باحتلال الأندلس ليستقوا في شمال إفريقيا عام 425 م ، وقد دام حكمهم في

1- جبل الوحش، يبعد حاليا عن مدينة قسنطينة حوالي 8 كلم ويعتبر إحدى المتنزهات الترفيهية الرئيسية لسكان المدينة.

2- محمد الهادي لعروق، المرجع السابق، ص 72.

3- نفسه، ص 72-73.

4- عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ص 24.

5- أحمد بن العطار، المرجع السابق، ص 78.

الجزائر 140 سنة[1]، وما يؤكد استقرار الوندال في مدينة قسنطينة هي تلك المجموعة الكبرى من النقود الوندالية التي اكتشفت في الحامة عام 1949م، والتي تعرض اليوم بمتحف سيرتا، لكن النوميديين استمروا على موقفهم .....لكل أنواع الاحتلال[2]، وبعدها الاحتلال البزنطي[3]، من سنة 524-674م[4]، وقد كان هذا الاحتلال بمثابة إعادة إحياء سلطة روما فقد ميزت سياستهم بالضرائب المجحفة في حق الإجمالي والاضطهاد الديني والاجتماعي وحرمانهم من الحقوق السياسية والمدنية، هذا السبب الذي جعل الأحمالي رافضين لهذا الاستعمار والذي حرصهم على الثورة والانتفاضات ولاسيما في النواحي الشعبية من بلاد المغرب عامة ومدينة قسنطينة على وجه الخصوص إلى أن أتى المسلمون رافعين راية الإسلام والذي جاء لإقامة العدل والمساواة فقضى على هذا الاحتلال في نهاية القرن الأول هجري / 8م[5] ملحق رقم 1 قسنطينة في العهد القديم.

المطلب الثاني: قسنطينة عبر تاريخها الإسلامي:

لقد بدأ العهد الإسلامي في بلاد المغرب في ظروف اختلفت عن ذلك التي سادت في كل من مصر والشام، ودخول الإسلام إلى هذه الأرض التي كان لها رد فعل عنيف في المقاومة ضد الاستعمار في العقود السابقة فقد كان السكان الأصليون لهذه الأرض هم " **البربر الأمازيغ**"، فبعد زوال قوة الرومان واضمحلال نفوذهم في شمال إفريقيا توجهت الفتوحات الإسلامية نحو المغرب، وقد استغرقت عملية الفتح الإسلامي لبلاد المغرب سبعون سنة[6]، ففي القرن السابع ميلادي هاجم الفاتحون العرب مدينة قرطاجنة والمدن الأخرى

1- شاوش صالح وبن شريف مريامة، رحلة في تراث المغرب العربي، ت: محمد هشام بن شريف، دار بهاء الدين، الجزائر، (د.ت)، ص 66.

2- رشيد بورويبة، قسنطينة، سلسلة الفن والثقافة، وزارة الإعلام والثقافة، الجزائر، 1978، ص 49.

3- البزنطيون: يسمون أيضا بالرومان الشرقيون كان حلمهم إعادة بعث الإمبراطورية الرومانية زكان التأثير البزنطي في تونس وجزء من قسنطينة فقط، ص 66.

4- أحمد بن المبارك بن العطار، المرجع السابق، ص 78.

5- عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ص 24.

6- محمد الهادي لعروق، المرجع السابق، ص 73.

التابعة لها ومنها قسنطينة فدخلت تحت حكمهم، ويقول " إيفر"[1] ما جاء في كتاب " تاريخ باي قسنطينة" أن المسلمين قد فتحوا قسنطينة في تاريخ سكت عنه المؤرخون وعلى التقريب فإن العرب قد دخلوها في القرن السابع ميلادي[2]، أما عن فاتح هذه المدينة فيذهب الكاتب " أحمد بن المبارك ابن العطار" إلى القائد عقبة بن نافع[3]، وهذا ما يؤكده لنا الوافدي في كتابه فتوح إفريقية فهو أول من أشار إلى مدينة قسنطينة حيث يقول في الحوار الذي دار بينه وبين أهالي قسنطينة: ...." فقالوا له أيضا الملك أنت تعلم أن ما في الأرض الخضراء أحصنت من بلادنا ولا أقوى منا رجالا ومالا وليس منا إلا أن نتحصن في بلدنا ونترك العرب و لا نقاتلهم أبدا ..."، وفي مواصلته لعملية فتح المدينة يقول: ".... ولما كان الصبح أشرقت عليهم رايات المسلمين مما يلي صومعة هناك وبعد قليل نزلوا المدينة من فوقها ومن تحتها وكانت حصينة منيعة جدا..." ويواصل قوله: " حتى مخلصا والتي صلى فيها أول جمعة..."[4].

ففي سنة 670 م أرسل الخليفة معاوية عقبة بن نافع لفتح إفريقية فتوسع في الفتح خاصة بعد حضور أبي المهاجر دينار[5] الذي كان له الفضل في فتح العديد من أراضي المغرب الأوسط[6]، وبذلك دخل سكان قسنطينة تحت الحكم الإسلامي ترغبيا لا ترهيبا، واعلفوا إسلامهم وولاءهم للفاتحين العرب وأصبحت قسنطينة تابعة للحكم الإسلامي بالقيروات

1- أحمد مبارك العطار، المرجع السابق، ص 79.

2- نفسه، نفس الصفحة.

3- عقبة بن نافع : هو عقبة بن نافع بن قيس بن لقيط بن عامر بن أمية كان مولدة قبل وفاة رسول " ص" بسنة واحدة كان له عدة فتوحات بعدما تم تعيينه واليا على إفريقية من طرف معاوية بن أبي سفيان.

4- أبو محمد عبد الله بن عمر الواقدي، فتوح إفريقية، ج1، دار الكتب الوطنية، تونس، 1895م، ص 114-120.

5- أب المهاجر دينار: أو أمير مسلم وطئن خيله، المغرب الأوسط، جعل مركز قيادته العليا مدينة ميلة، فبنى بها دار الإمارة ومسجدها، وساهم في نشر الوفاق بين العرب والبربر.

6- مبارك محمد الميلي: " تاريخ الجزائر في القديم والحديث"، ج2. تر: محمد الميلي، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ص 34.

في عهد الولاة الأمويين إلى غاية قيام الدولة الأغلبية[1]، (134-800هـ/396-909م) والتي مدت نفوذها إلى مختلف المدن المغاربة، نذكر منها قسنطينة طرابلس ونواحيها، تونس وما حولها، بلاد الزاب، بلاد السوس والمغرب الأقصى والجزائر[2].

وعرفت قسنطينة في ظل حكم الدولة الأغلبية نقلة نوعية ونصفه علمية وثقافية ومعمارية إلى غاية سقوطها عام 296هـ/912م.

وبعد قيام الدولة الموحدية في المغرب الإسلامي (425-668هـ/1130-1269م) على يد مؤسسها عبد المؤمن والتي وجدت جل أجزائها المتسنة لأول مرة، وقد استولى على بجاية في البداية في سنة 547هـ ثم بقسنطينة في 547هـ[3]، وبعد وفاته آلت الدولة إلى الضعف خاصة بعد ظهور علي ابن غانية المرابطي الذي كان واليا على جزر البليار الذي قام بعدة ثورات على أصراء الملوك الموحدين فتمكن من الاستيلاء على بجاية عام (1147م-580هـ) منتهزا ضعف الدولة وتصدى له أبي عمر بن حفص الذي كان واليا على تونس بعد وفاة عبد المؤمن وقد دام حكم الموحدين لمدة 150 سنة.

وفي عهد ابن حفص شهدت مدينة قسنطينة حركة تجارية واسعة بحيث ازدهرت الصناعة واستصلحوا نظام العملة وقد اتسع نظام المبادلات التجارية بين البلاد المغاربية ككل والدول الأوروبية عامة[4].

1- تتبني الدولة الأغلبية إلى مؤسسها إبراهيم بن الأعلى (184-286هـ/800-909م) وقد كانت تابعة للخلافة العباسية، كان حكمها شبه مستقل بالمقابل تدفع جزية إلى خزانة الخلافة العثمانية، وقد اتخذ الغالبية من القيروان عاصمة لهم وكانت قسنطينة في هذا الوقت تابعة سياسيا وإداريا للعاصمة القيزوات.

2- عبد الرحمان الجيلالي: تاريخ الجزائر العام، ج1، دار الثقافة، لبنان، 1980، ص 72.

3- روبار برنشفيك، تاريخ إفريقي في العهد الحفصي من القرن 13 إلى نهاية القرن 15م، ج1. ط1.تر: حمادي الساحلي، دار الغرب الإسلامي، لبنان، 1988، ص 32.

4- عبد الله شريط محمد الميلي، نفس المرجع، ص 79-80.

وكان أبي عمر حفص القائد الذي مهد لقيام الدولة الحفصية في تونس خلافا للدولة الموحدية وقد بسطت نفوذها على معظم الأقاليم التي كانت تحت سلطة الموحدين أهمها إقليم قسنطينة وبجاية[1].(**ملحق رقم 02: قسنطينة في العهد العثماني**)[2].

المطلب الثالث: قسنطينة خلال الفترة العثمانية:

إن دخول العثمانيين إلى مدينة قسنطينة أمر اختلف فيه المؤرخين وتضاربت آراء الباحثون وذلك بسبب الافتقار إلى الوثائق المعاصرة لهذه الفترة، ورغم هذا فقد وجدت آراء سلم بها البعض وأخذ بها بعض الكتاب بغض النظر عن تناقضها وذلك لقلة المصاد ر المثبتة لذلك[3].

فالأنبيري يحدده سنة (927هـ-1529م) أي في عهد خير الدين باشا، أما آخر كان أبي دينار مؤرخ الدولة الحفصية فإنه يرجع دخول الأتراك للمدينة بعد انتهاء الحكم الحفصي بتونس أي حدود (933هـ-1536م) والذي يحدد تاريخ دخول قسنطينة تحت طاعة العثمانيين في عام 1646م في زمن فاتح عهد باياتها فرحات باي[4]، بينما ابن العطار يذكر أن دخول الأتراك لمدينة قسنطينة كان سنة (925هـ-1520م) بقوله: وهاجمها حسن خير الدين سنة 1519م أو سنة 1520م واحتلها ثم خرجت عن الترك دخلت تحت الحكم الحفصي مرة أخرى، وكان فيهم ممثلهم سنة (933هـ-1526م-1529م) واستردها الترك سنة (1534م-940هـ) ودعموا حكمهم فيها[5].

1- سعودي يمينة، الحياة الأدبية في قسنطينة خلال الفترة العثمانية، بحث مقدم لنيل شهادة الماجيستر في الأدب القديم، جامعة الإخوة منتوري، قسنطينة، 2005-2006، ص 23.

2- أنظر الملحق رقم (1) من كتاب محمد الهادي لعروق مدينة قسنطينة في العهد الإسلامي.

3- نجاة نوارة، الإدارة المحلية في بايلك قسنطينة (1520-1830م)، مذكرة لنيل شهادة الماجيستير تخصص تاريخ الجزائر الحديث، قسم التاريخ، جامعة محمد بوضياف، المسيلة، 2018-2019، ص 19.

4- أحمد بن مبارك بن العطار، تاريخ بلد قسنطينة (1790-1870م)، تج.تق.تع، عبد الله حمادي، دار الفائز للطباعة والنشر والتوزيع، قسنطينة، 2011، ص 48.

5- سعودي يمينة، مرجع سابق، ص 20.

كانت مدينة قسنطينة تعد المدينة الثانية بعد العاصمة خلال العهد العثماني كانت عاصمة المقاطعة الشرقية التي تمتد من شواطئ البحر شمالا، إلى صحراء الزيبان جنوبا، كما تحدها شرقا تونس وغربا بلاد القبائل، وهو أول تقسيم إداري عرفته الجزائر في تاريخها السياسي والإداري وقد امتد الحكم العثماني ما يزيد عن ثلاثة قرون من الزمن[1].

حيث قدم العثمانيون إلى المغرب الأوسط بعد استنجاد سكان السواحل بهم مثل: الجوائر، وهران، بجاية، جيجل، وغيرها من الهجومات المتكررة من الإسبان هنا توغلت حاميات عثمانية وحكمت بلاد المغرب الأوسط، بعد خضوع الجزائر للحكم العثماني قرر الباشا حسن بن خير الدين تقسيم الجزائر إلى ثلاثة أقاليم كل منها يحمل اسم البايلك وكانت على النحو التالي:

- بايلك الجزائر العاصمة وعاصمة الجزائر نفسها (أو دار السلطان).
- بايلك الشرق وعاصمتها مدينة قسنطينة التي تعد العاصمة الثانية بعد العاصمة (الجزائر).
- بايلك الغرب وعاصمتها مدينة مازونة ثم معسكر وتلمسان ووهران.
- بايلك التيطري وعاصمتها المدية.

هذا التقسيم بعد أول تقسيم إداري عرفته الجزائر في تاريخها، كما سهر 40 بايا على تنظيم شؤون مدينة قسنطينة[2].

حيث أفادنا المؤرخ العنتري في تاريخ بايات قسنطينة بالعديد من المعلومات حول كيفية اقتحام الأتراك العثمانيين لقلعة قسنطينة الشديدة المراس والمناعة لكن تفاجئوا عند محاولتهم اجتياح حصانتها بمقاومة شعبية في منتهى الشراسة والانسجام، وقد أدى هذا الأمر

1- سامح آلتر عزيز، الأتراك العثمانيون في إفريقيا الشمالية، تر، محمود علي عاصر، دار النهضة العربية، لبنان، 1989، ص 85.

2- معاشي جميلة، الأسر المحلية الحاكمة في بايلك الشرق الجزائري من القرن 10هـ-16م، ديوان المطبوعات الجامعية، جامعة قسنطينة 2، ص 137.

إلى تدهور الأوضاع الطرفين المتنازعين، فقد تدخل في الأمر الشيخ الفقيه الجليل عبد الكريم ابن الفكون في إقناع العامة والخاصة بالدخول في السلم مع الحماة الجدد الوافدين باسم الخلافة، حيث استجابة له أصول المنطقة فالبرغم من استتباب الصلح فضل الأتراك الإقامة خارج أسوار المدينة مكتفية بحصانة أبراجهم وقصباتهم جاعلين منها مراكز للحماية والدفاع ومباشرة الإشراف على المدينة وضواحيها ودامت الحلل لمدة سبعة أعوام[1].

كما ظلت المدينة تدير شؤونها حسب أعرافها وتقاليدها المتمثلة في دور العائلات الكبيرة وتأثير مشايخها، وعلى هذا الحال بدا سكان المدينة يشعرون بضيق وتصادم دفعهم إلى مكاتبة الباشا (الداي) راجين منه أن يولي أمرهم رجلا عادلا يجمع شمل شتاتهم فاستجاب لدعوتهم حيث ترك أمرهم شورى بينهم وكان إجماعهم على أول رجل كان حسن بن فرحات بن مراد باي وذلك عام 1646م فيذكر العنتري على أعقاب هذا الحدث ما تم من استقرار حيث: " دخل الناس تحت طاعته واذعنوا لحكمه وأذهب الله الفتن والغلاء وكثر الرزق ونزلت العافية ولم يبق واحد من الرعية إلا ودخل تحت الطاعة..."[2].

ففي أواخر الحكم العثماني تعرضت قسنطينة إلى العديد من الثورات منها: ثورة ابن الأحرش بسبب رجل اسمه سي محمد بن عبد الله شريف الذي قام يدعي الشرف ناحية أعراش وادي زهور حيث صدقوه تلك القبائل وتوجهوا معه من الأجل الاستيلاء على قسنطينة[3].

فتوجه هذه الأخير مع جيش كبير من القبائل إلى قسنطينة وكان عثمان باي غائبا وعند وصوله إلى رأس العاصمة كشف أمره وتهيأ أهل البلد لقتاله ثم التقى الجمعان في عقبة الصهارة أسفل الرحبة المعدة إلا أن بيع الهوبر(الهوبر في اللهجة الجزائرية الحمير

1- أحمد بن العطار، المرجع السابق، ص 49-52.

2- نفسه، ص 52.

3- العنتري صالح، مجاعات قسنطينة، تج.تق. رابح بونار، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1974م، ص 29.

ونحوها)[1] هنا اشتد القتال بينهم أين تلقى القبائل الهزيمة حيث قتل منهم نحو المائتين قتيل وأصيب الشريف بجرح ثقيل فعند محاولتهم الفرار من المدينة وصل عثمان باي إلى قسنطينة[2]، راح يدرك ابن الشريف ويقطع دابرة ويعاقب كل من تبعه من أعراش، في حين جهز حملة عسكرية وزاد عليها زملاء ولما وصلت الجيوش المذكورة إلى وادي الزهور واستقرت بمرجة، وهنا استعان القبائل على استعمال مكيدة وهي أنهم حولوا شركة من صبيل الوادي التي بها المحلة ليلا وأهلها لم يشعروا بذلك حتى أدركهم الغرق فيها من كثرة الماء وشدة الوحل لآن أرض المرجة خفخاض فتم علاكهم بها وكمل ولم ينج من أعمل تلك المحلة إلا القليل وهنا مات فيها الباي عثمان سنة (1219هـ-1804م)[3].

وعندما توصل صالح للحكم عرفت مدينة قسنطينة أوج ازدهارها حيث تعد فترته من أهم الفترات التاريخية التي شهدت تطورا وازدهارا في مختلف المجالات حيث نظم الشوارع وشيد البنايات وانتشر العمران داخل المدينة وخارجها فشيد مسجد ومدرسة الكتاني وأقام بالقرب منها بيوته الخاصة التي امتازت بالضخاصة وإلى جواره شيدت أيضا دور ومنازل الحاشية ونوامه وخدامه وقام أيضا بتوسيع رقعة مقاطعته وقد سار على نهجه الحاج أحمد باي قام بمراقبة الأسواق وقمع الغش فيها واشتهر بحكمه وعدله وعفوه وهو مؤسس قصر أحمد باي الذي يعتبر تحفة فنية رائعة[4].

1- نفسه، ص 30.

2- نفسه، ص 30.

3- العنتري صالح، المرجع السابق، ص 32-33.

4- ابن العطار أحمد بن مبارك، المرجع السابق، ص 52.

3- أنظر الملحق رقم (2)، قسنطينة في العهد العثماني (نقل عن عبد العزيز فيلالي).

وخلاصة القول أن مدينة قسنطينة من المدن الجزائرية الهامة بتاريخها وتراثيها العريق منذ القدم، حيث لعبت دورا بارزا في احتضان حضارات متعاقبة تركت خلفها إرثا عمرانيا فعرضت قسنطينة في العهد النوميدي بمكانة اقتصادية مرموقة جعلتها محطة تجارية واسعة وملتقى ثقافات متعددة ومتنوعة إذ أصبحت قسنطينة عاصمة عالمية تحظى باحترام كبير في الأواسط الدولية، هذه المكانة جعلتها محط أنظار الطامعين والغزاة مثل الرومان التي سيطرت على المدينة عام 112م، حيث ظلت المدينة تحت الحكم الروماني تنعم بمكانة هامة إلا أن الأهالي قاوموا وجودة واستنجد بالوندال الذين دخلوا المدينة واستقروا بها ليليهم البيزنطيون، وظلت مدينة قسنطينة في الصراعات إلا أن دخلها الإسلام وصارت إحدى عواصمه الكبرى وقلاعه العسكرية المنيعة وحاضرة من حواضر العلم والثقافة، ففترة العهد الإسلامي تعد من أهم الفترات التي شهدتها مدينة قسنطينة فبرغم الضعف والتفكيك الذي أصاب الدولة الحفصية خاصة وبلاد المغرب عامة ظلت على حالها، فقد استغل بعض الأمراء من بني حفص هذه الفترة المضطربة واستقلوا بمدينة قسنطينة إلى أن دخلتها الحامية العثمانية بعد مقاومة شديدة أبداها أصل المدينة بزعامة شيخ الإسلام آنذاك وهو سيدي عبد المؤمن الذي قاوم الأتراك لمدة ثلاث سنوات.

وعند وصول العهد العثماني إلى الحكم شهدت المدينة استمرار في التطور العمراني وهذا مع المكانة التي احتلتها في جميع المجالات باعتبارها عاصمة الشرق الجزائري، حيث شهدت تشييد العديد من المنشآت الدينية والمدنية والعسكرية داخل المدينة وخارجها.

من خلال دراستنا لجغرافية وتاريخ قسنطينة يمكننا القول بأن:

الموقع الجغرافي لمدينة قسنطينة وأقاليمها المناخية كان السبب الرئيسي في جعلها محط أنظار العديد من الغزاة الأجانب، بالإضافة إلى مكانتها الدفاعية وتوسطها إقليميا غنيا اقتصاديا أهم مكان لمرور القوافل التجارية بين الصحراء والتل.

فبفضل تعدد هذه الأقاليم احتلت الصدارة في تصدير العديد من المنتوجات كالحبوب، القمح، والشعير وهذا نتيجة توفرها على أراضي زراعية وأسواق تجارية أما عن الجانب العمراني والحضاري قد كان مرتبط بالخلفية التاريخية التي مرت بها المدينة عبر مراحلها وتطورها.

الفصل الأول: التطور المعماري لمدينة قسنطينة خلال العهد العثماني

المبحث الأول: وصف مدينة قسنطينة.

المطلب الأول: وصف المؤرخين للمدينة.

المطلب الثاني: أبواب مدينة قسنطينة.

المطلب الثالث: أحياء وشوارع مدينة قسنطينة.

المطلب الرابع: جسور مدينة قسنطينة.

المبحث الثاني: المعالم الدينية لمدينة قسنطينة خلال العهد العثماني.

المطلب الأول: الجوامع والمساجد.

المطلب الثاني: المدارس.

المطلب الثالث: الزوايا.

المطلب الرابع: الأضرحة.

المبحث الثالث: المعالم المدنية لمدينة قسنطينة خلال العهد العثماني.

المطلب الأول: الأسواق.

المطلب الثاني: القصور والمنازل.

المطلب الثالث: الفنادق.

تعد مدينة قسنطينة من أكبر المدن الجزائرية وأعرقها، وهي لا تزال تحتفظ بمعالم أثرية ترجع إلى فترات تاريخية مختلفة ولعل من أهمها المعالم الأثرية التي ترجع إلى الفترة العثمانية، حيث اهتم الحكام في العهد العثماني بالعمارة والبنايات فشيدوا العديد من القصور والمنازل وزينوها بالفن الزخرفي فكانت في غاية الجمال شدت إليها انتباه الكثير من الرحالة والجغرافيين والسفراء الأجانب في تنظيمها العمراني والفني.

كما شهدت قسنطينة في العهد العثماني حركة نشطة في الاهتمام بالمنشآت الدينية سواء من حيث البناء والتشييد أو من حيث الترميم والتجديد لهذه المنشآت كالمساجد والمدارس والزوايا والأضرحة، حيث حفظ أجمل قسنطينة ذاكرة وأعلامهم في معالمهم العمرانية.

المبحث الأول: وصف مدينة قسنطينة:

تعتبر قسنطينة العاصمة الشرقية للجزائر، بنيت فوق صخرة من الكلس القاسي وهذا ما ميزها عن بقية مدن العالم أجمع وقد بنيت لها عدة جسور عبر عصور الأزمنة المختلفة التي تعاقبت عليها من أجل الانتقال من مكان لآخر لذلك فإنه يطلق عليها اسم المدينة المعلقة ولأجل حماية هذه المدينة من الأخطار الخارجية بنيت لها العديد من الأبواب تنطلق منها شوارع رئيسية عريضة نسبيا، فموقع هذه المدينة الحصينة وطابعها المميز أكسبها جاذبية خاصة سمحت للمؤرخين بوصفها من جميع الجوانب.

المطلب الأول: وصف المؤرخين للمدينة:

تم وصف مدينة قسنطينة من طرف العديد من المؤرخين العرب خلال القرون الماضية فالعالم العربي الكبير الشريف الإدريسي[1]، قد وصف قسنطينة بكثرة الأموال والمزارع وبكون أهلها مياسير وأهل تجارة ولهم معاملات مع العرب ومشاركة في تخزين الحبوب والحنطة في المطاهير مائة سنة دون أن تتعرض للفساد وفيها الكثير من العسل والسمن وكان عسلها يحمل منها إلى سائر البلدان[2].

ولما كان موقعها في أعلى الجبل فهي محمية لا يدخلها داخل الأمن باب واحد، وهو يقع إلى الغرب منها وهوو غير واسع ولها مقابر أهلها، كما لها آثار الروم وبها قصر قد تهدم إلا بعضه وبها ملعب من بناء الروم شبيه بملعب (ثرمة) في صقلية.

1- محمد بن عبد الله بن إدريس الحمودي الحسني، قد عاش ما بين (1100م- 1165م) أمضى حياته ما بين الجغرافيا وتأليفها، هو من سلالة عائلة الأدارسة، لقد استقى الإدريسي علومه في الجغرافيا من رحلاته الكثيرة التي جال فيها أرجاء العالم وقد وثق هذه الرحلات في كتابه المعروف باسم نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، من بين مؤلفاته: الجامع لآنشتات النبات، روض الأنس ونزهة النفس.

2- محمد بن عبد الله بن إدريس الحمودي الحسني المعروف بالشريف الإدريسي، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، ج2، مكتبة الثقافة الدينية، (د.ت)، ص 150-160.

وقسنطينة من أحصن بلاد الله وهي مطلة على فحوص متصلة ولها مزارع الحنطة والشعير ممتدة في جميع جهاتها ولها في داخل المدينة ومع سورها مسقى يسقون منه ويتصرفون به عند أوقات الحصار لها ممن طرقها[1].

أما الرحالة محمد العبدري[2] الذي زار قسنطينة في أواخر القرن السابع عشر الهجري فوصفها بقوله: " ثم وصلنا إلى البلد الذي نشفت الخطوب معينة وأبت الأقدار أن تكون له معينة بلد لوضع العجيب والموضح الخصيب مدينة قسنطينة، جبر الله صدعها وكفاها من نوائب الدهر ما واصل فرعها، وهي مدينة عجيبة حصينة غير أنها لخطوب الدهر مستكينة قد ذبلت ببوارح الغير وفوادح الضرر، حتى صارت كالحسناء ليست إسهالا والكريم فقد مالا والبطل أثخنته الصراح حتى لا يطبق احتمالا فهي ترى الحوادث لمحا باصرا وتنادي بلسان الحال، لو أجد ناصرا".

فهو يصف حسن وجمال هذه المدينة كما يذكر العبدري كذلك حصونها المنيعة ويصف روعة عمرانها صباني متقنة غريبة فتاريخها عامر بالأحداث فيها بيوت وقصور ومعابد رائعة التصميم[3].

1- مصطفى بن حسان، التاهرتي ثم الوهراني الجزائري، معجم أعلام قسنطينة من صدر الإسلام إلى ما بعد الاستقلال، المجلد الأول، دار الإمام مالك للكتاب، قسنطينة، الجزائر، 2015، ص 74.

2- ينحدر محمد بن محمد العبدري: من سلالة بني عبد الدار بن قصي وينتمي إلى مدينة بلنسية بالأندلس ولكنه أقام مدة خلال الفترة التي سبقت رحلته في الصوبرة(موجدور) حيث ترك أسرته عند قبيلة حاحا، عند الشروع في رحلته وكذلك أقام مدة من الزمن في قرية تقع على الطريق بين بسكرة وتوزر، بدأ في رحلته برفقة ابنه لأداء فريضة الحج في سنة (688هـ/1289م) عن طريق الولايات الشرقية للمغرب الأقصى ثم الجزائر وتونس ثم نزل بمصر ومن هناك رافق قافلة الحجاج إلى مكة المكرمة..

3- سعد بوفلاقة، قسنطينة في عيون الرحالة والجغرافيين، حوليات جامعة الجزائر 1، كلية الآداب، جامعة عنابة، العدد 30، الجزء الثاني، ص 31.

كما أن الحسن بن الوزان[1] أثناء رحلته لقسنطينة قد خصص جزءا مطولا بصفحات تناولت الحياة الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والعمران وكل أصولها في كتابه وصف إفريقيا: "هي مدينة قديمة بناؤها نظرا لأسوارها العتيقة العالية السميكة المبنية بالحجر المنحوت....تستطيع قسنطينة نظرا لحجمها أن تضم ثمانية آلاف كانون ولها موارد كثيرة وهي متحضرة جدا ومليئة بالدور الجميلة.... كالجامع الكبير والمدرسين والزوايا الثلاث وأسواق المدينة حسنة والقسنطنيون شجعان مقاتلون، خصوصا منهم الصناع" فالحسن بن الوزان يذكر الخندق الموجود بالمدينة وماله من أهمية لأنه معبر لمياه وادي الرمال، كما يذكر حصونها وأسوارها العالية وأبواب المدينة التي وصفها أغلب الرحالة وهي خمسة باب الوادي، باب ميلة، باب الحاصة، باب الجابية، باب القنطرة، ويصف القلعة التي كانت شمال قسنطينة.

ولاحظ الوزاني كذلك في رحلته كثرة السكان بالمدينة ثمانية آلاف أسرة يصف المدينة بالتحضر والجمال[2]، كما وصفها أيضا محمد الخضر بن الحسن بدءا بوصف معالمها الدينية من مدارس ومساجد يقول في كتابه: " بهذه المدينة مدرسة إسلامية معدة لتخريج القضاة والعدول ومثلا جوامع تقام بها الجمعة الجامع الكبير، الجامع الأخضر والآخر يسمى بجامع سيدي الكتاني"، فقد ركز على الجانب الديني الذي ميز المدينة والمنشآت المشيدة لإقامة شعائر الدين فحضر بعض الدروس وتعرف على بعض طلبة القرآن الذين يهتمون بصلاتهم وإقامة جميع الفرائض ثم يذكر في الأخير أن هذه المدينة

1- ينتسب الحسن بن محمد الوزان إلى قبيلة بني زيات الزناتية : ولد بمدينة غرناطة قبل سقوطها في يد الإسبانيين ويختلف المؤرخون في تحديد سنة ولادته فيجعلها بعضهم عام 1495/90 وبعضهم عام 1500/906، أما الرحلات التي فصل القول فيها فو وصف إفريقيا تسعة: رحلة إلى الشواطئ الغربية القريبة من فاس رحلة إلى وسط المغرب، السودان. بلاد حاحا. مراكش. الحجاز. الاستانة.

2- الحسن بن محمد الوزان الفاسي، وصف إفريقيا، الجزء الثاني، ترجمة عن الفرنسية محمد حجي، محمد الأخضر، الطبعة الثانية، دار الغرب الإسلامي، (د.ت)، ص 56-57.

مرتفعة الكثافة السكانية وتجمع العديد من الأديان يقول: " يبلغ عدد سكان هذه المدينة نحو 55 ألف نسمة نصفهم من المسلمين وأربعة آلاف من اليهود والباقي من الإفرنج[1].

كما وصفها أيضا القلقشدي حيث قال أنها من المدن التي بأعمال بجاية، قسنطينة وهي مدينة من المغرب الأوسط في أواخر الإقليم الثالث[2]، كما نجد ابن حوقل[3] الذي وصفها بقوله: " وأما القسطنطينية التي لكتامة ، فمدينة قريبة الأمر تداني ميلة ونقاوس في حالهما[4].

وكانت مدينة قسنطينة نظيفة ومساكنها منظمة تتميز بطابع معماري خاص، كما يذكر لنا ذلك المؤرخ الفرنسي دو فوازان في مذكراته عن احتلال قسنطينة قائلا: أن نظافة كبيرة كانت تميز المنازل والشوارع وقسنطينة ككل المدن الإسلامية تحمل طابعا معماريا متميزا ولونا محليا خاصا، كما يذكر الضابط هيبوليت بأن المساجد كانت جميلة ومزينة بالرخام الجهد والثكنات كبيرة والأسواق رحبة والمخازن ضخمة[5].

وكان عدد سكان المدينة الذي حددها حمدان بن أمين السكة ما بين 25 إلى 30 ألف في حين قال عنها كامل باي مبعوث السلطان العثماني عام 1836 م أنها مدينة عظيمة بها 7000 مسكن يقطنها حوالي 80 ألف شخص، وذكر بانانتي أن سكان مدينة

1- محمد الخضر حسين وآخرون خمس رحلات إلى الجزائر" 1904-1939" قدمها صالح الجابري، دار فارس للنشر، ط1، 2004، الإمارات العربية، ص 33.

2- إسماعيل العربي، المدن المغربية، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ص 193.

3- هو أبو القاسم محمد بن حوقل النصيبي، غادر مدينة السلام للقيام برحلة في 7 رمضان 331هـ من أجل الدرس والتجارة والكسب، زار المغرب العربي، الأندلس، فارس، الهند، صقلية العراق وغيرها، تم تأليف المسالك والممالك الذي بدأه الإصطخري سنة 367هـ وهي السنة التي توفي فيها.

4- نفسه، نفس الصفحة.

5- لعروق محمد الهادي، مدينة قسنطينة دراسة في جغرافية العمران، ديوان المطبوعات الجامعية الساحة المركزية بن عكنون، الجزائر، 1984م، ص 82-85.

قسنطينة بلغ ألف نسمة، في حين حدد كل من رامبار وباون (Bowen) عدد سكان مدينة قسنطينة ما بين ال 40 إلى 45 ألف نسمة وروزي ب 15 ألف[1].

المطلب الثاني: أبواب مدينة قسنطينة:

تعد الأبواب من العناصر الأساسية في المدن الإسلامية وغيرها لأهميتها في الاتصال بين داخل المدينة وخارجها، حيث تفتح عدة أبواب في السور الواحد وقد كان لمدينة قسنطينة عدة أبواب[2] جميلة كبيرة مصفحة تصفيحا جيدا بالحديد[3] بينت لتحصين المدينة من الأخطار الخارجية نذكر منها:

1- باب الحنانشة: يقع شمال غرب المدينة يسمح بالخروج من الشمال عبر وادي الرمال يؤدي إلى الينابيع التي تصب في أحواض مسبح سيدي مسير.

2- باب الرواح: يؤدي إلى الناحية الشمالية من وادي الرمال يوصل أيضا إلى منابع سيدي ميمون.

3- باب الجابية: يربط المدينة بالضفة الجنوبية لوادي الرمال حتى المنصورة يفتح على الطريق الممتد إلى سيدي راشد ويقع على ارتفاع 510م[4]، ينسب إلى الصهريج الذي تخزن به المياه.

4- باب القنطرة: قاسم على مسمى حيث الجسر الوحيد الذي كان يربط قسنطينة بضاحيتها الشرقية، وهو جسر قديم احتفظ ببقايا العمل الروماني وأعيد بناؤه وترميمه أكثر من مرة صالح باي سنة 1792م، بدأ العمل ولم ينجز إلا في عهد خلفه حسين باي (1792-1795م)، لم يصمد طويلا أذ سقط سنة 1857م[5].

1- أحمد عميراوي، المجلة التاريخية المغاربة العهد الحديث والمعاصر، السنة الرابعة والعشرون، العددان، 87-88 ماي 1997م، ص 628.

2- أعراب فهيمة، ملحق مذكرة، المرجع السابق، ص 187.

3- أحمد بن العطار، تاريخ بلد قسنطينة، المرجع السابق، ص 78.

4- أعراب نفسه، ص 187.

5- فاطمة الزهراء قشي، معالم قسنطينة وأعلامها، إنسانيات عددان 19-20 جانفي- جوان 2003، ص 13.

5- باب الجديد[1]: كان في السابق بابا بسيطا[2]، يقع في مفرق طرق الأجزاء الموحدة بين كدية عاتي[3] والمدينة وهو النقطة الحساسة التي يجب أن تهاجم منها قسنطينة والمكان الوحيد الذي يمكن ان يتم منه الحصار[4].

6- باب الوادي أو باب ميلة: يقع بجهة الجنوب الغربي من المدينة وهو يتفتح على طريق رئيسي تتفرع منه معظم الشوارع المؤدية إلى مختلف أنحاء المدينة، والبعض الآخر يقول خمسة أبواب مقابل بابين في العهد النوميدي، أما في العهد العثماني فكانت محمية طبيعيا وأسوارها تخللها أربعة أبواب: باب الجابية، باب القطرة، باب الواد، باب جديد[5].

وكانت هذه الأبواب تقوم بوظيفة التحصين حيث استعمل في عتباتها وعضاداتها الحجر[6] تفتح بالنهار وتغلق بالليل، إلا أنها بدأت بالاندثار والاختفاء بالتدرج وأزالها الاستعمار كليا ولم يبقى منه سوى آثار متواجدة على مستوى ساحة بومزو التي شغلت القصبة، كانت المشرفة على كل المدينة بالإضافة إلى وجود ثكنة الإنكشارية الواقعة قرب باب الواد **[مقر المسرح حاليا]** .

المطلب الثالث: أحياء وشوارع مدينة قسنطينة: إن ما يميز مدينة قسنطينة تقسيماتها إلى أحياء سكنية منتظمة التي تأخذ شكلا متراصا على جانبي الشوارع الضيقة، ولقد تميزت هذه

1- باب الجديد: ولكنه الآن بقوس وباب وقربه بطارية تحتوي على خمس مرافع.

2- شلوصر فندلين، قسنطينة أيام أحمد باي، المرجع السابق، ص 73.

3- كدية عاتي: سميت بهذا الاسم نسبة إلى الولي الصالح " سيدي عاتي" وكانت عبارة عن هضبة مرتفعة خالية من أي بناء أو عمران مثلما نلاحظه اليوم.

4- مؤلف مجهول، مذكرات أحمد باي، ص 51.

5- أعراب فهيمة...، المرجع السابق، ص 188.

6- محمد بن حمو، حمام سوق الغزل بقسنطينة، قسم علم الآثار، جامعة تلمسان، مجلة القرطاس، العدد الثاني جانفي 2015، ص 296-299.

الأحياء بنظافة كبيرة ميزتها عن باقي أحياء الإيالة[1]، ولقد قسمت مدينة قسنطينة إلى أربع أحياء ذات طابع سكني وهي:

1- حي القصبة: وهو الحي العسكري والإداري الذي يقع في الشمال الشرقي للمدينة، يتميز ببناء قديم في شكل قلعة صغايرة محصنة سكنتها الحاشية التركية، كما ذكر فندلين شلوصر بأن القصبة ميدان فسيح وهي أكبر من قصبة الجزائر بمقدار النصف كما تحيط بها عدة بنايات ويسكن بها المفتي[2].

2- حي الطايبة: وهو الحي الرسمي الذي يحتضن القصر والمسجد الرئيسي يقع في الشمال الغربي للمدينة كما يوجد به وحدات سكنية متلاصقة مع بعضها البعض.

3- حي القنطرة: وهو الحي الذي تتركز فيه الطبقة الميسورة من أهل المدينة توجد به حارة اليهود في الجنوب الشرقي للمدينة(الشارع حاليا)، يظم عدة مرافق جعلته يكتسب حركة ونشاط دائمين كما تضمن قضاء الحاجة للسكان دون عناء كالمساجد والزوايا والأسواق.

4- حي الحابية: هو الحي الذي تقطنه الطبقة الاجتماعية المتوسطة والفقيرة يقع في الجنوب الغربي للمدينة توجد به سكنات على حافة الوادي في منحدر صعب ويتوسطه حي الويقة والزلايقية ورحبة الجمال[3].

ولقد كانت الطرق ضيقة وملتوية وفي بعض الأحيان مسدودة، هذا ما ذكره الرحالة حي دوماسان عن الشوارع الشعبية بقسنطينة فيذكر أنها كانت مضطربة جدا أكثر من شوارع الجزائر العاصمة تعج بالحياة يمر عليها دون انقطاع أجناس مختلفة من المارة...، كما ذكر أيضا أن الحي العربي بقسنطينة يتربح على نصف مساحة المدينة تقريبا والشوارع المنحدرة

1- زيان العمري وبن عمراني يوسف، المدينة والريف في الجزائر خلال العهد العثماني 1519م-1836م (إقليم مدينة قسنطينة انموبجا)، مذكرة لنيل شهادة الماستر تخصص تاريخ الجزائر الحديث، 1519-1830، جامعة محمد بوضياف، المسيلة، 2019-2020، ص 53.

2- فندلين شلوصر، المرجع السابق، ص 75.

3- مكي حياة، دور عنصر الساباطات بأحياء مدينة قسنطينة في العصر العثماني، جامعة الجلفة، الجزائر، ص 276-277.

في تعقد والتواء أضيف من تلك التي رآها في الجزائر العاصمة تتجه كلها إلى حافة الهاوية حيث يجري وادي الرمال[1].

كما كان كل حي يسمى باسم مالك المنزل الرئيسي الذي ينتمي به الحي أو باسم المسجد المجاور له، كما توجد مفترقات طرق صغيرة لها تسميات مثل (كوشة الزيات، عش الشوط...إلخ)، وفي بعض الأحيان نجد شارع له عدة تسميات شائعة فالمدينة في الحقيقة مقسمة إلى الكثير من الشوارع الصغيرة (حومة)، هناك عدة طرق تربط قسنطينة من الغرب إلى الشرق طريق تبدأ من باب الجديد تمر أمام دار الحاكم والتي تؤدي إلى القصبة وطريق تؤدي إلى الكهوف بالقرب من المكان الذي يوجد به رباعي الأعمدة وصولا إلى سوق العصر مرورا بسوق الغزل من فوق طريق تؤدي من باب الواد إلى رحبة الصوف، حيث أنشأت ساحة الكسرة (Galettes) وشارع يمتد من باب الجابية مرورا بسويقة الزلايقة ثم زاوية الطريق الرئيسي والمحاذي للوادي بعدها يضيق الطريق حيث يمر أمام زقاق الأربعين شريف ويصل إلى الجهة السفلي (حي باب الجابية)[2].

المطلب الرابع: جسور مدينة قسنطينة:

تعتبر الجسور من المكتسبات التراثية التي تشتهر بها مدينة قسنطينة، حيث توالت عليها العديد من الحضارات تاركة بصمتها على هذه الجسور مثل الرومان الذي كانت لهم الأسبقية في بناء هذه الجسور ليليهم الأتراك لاستكمال ما تهدم، حيث أقيمت هذه الجسور لتسهيل حركة التنقل نظرا لتضاريس المدينة الوعرة وأخدود وادي الرمال العميق وبذلك اشتهرت مدينة قسنطينة بكونها مدينة الجسور المعلقة الأمر الذي يلفت انتباه الرحالة الذين

1- Teddy alzieu.op. cit.p 42.

2 - Mercier.op.cit.p 48-52.

يعطون الرحال بمدينة قسنطينة هذه الجسور الرئيسية إذا لم تأخذ بعين الاعتبار الثانوية منها أو الصغيرة التي أنسأتها العائلات وأكبر هذه الجسور[1].

- **جسر باب القنطرة:** الذي يمتد فوق هوة الرمال الرهيبة ويشكل المدخل الرئيسي الوحيد إلى هذه الجزيرة التي تتوسط الأرض، وهذا الجسر يربط باب القنطرة مباشرة قبل المنصورة المواجه له ويأسف الرحالة غاية الأسف لما آلت إليه حال الجسر فهو ليس حديث العهد فهو لم يصل هذا العمر إلا بعد أن مرّ بعدة محطات ضعف، وكان وقتذاك يتكون من ثلاثة جسور يستند أحدهما على الآخر وكان الجسر الأعلى مدعوما بثلاثة أقواس جبارة تعتمد بدورها على جسر متوسط يحمله قوسان[2].

ويستند هذا الجسر على جسر طبيعي وكان الجسر الأعلى جسرا رومانيا في الأصل وجدد بناءه سنة 1793م من طرف صالح باي[3]، وقد ربطت به ساقية تزود المدينة بمياه المنصورة العذبة.

كما أورد مؤرخ قسنطينة الحاج أحمد بن المبارك في كتابه تاريخ قسنطينة حيث قال: " وكان بصرا سبع قناطر على البلد وواحدة انهدمت واندثرت إلى زمان صالح باي، جدد بناء القنطرة الموجودة اليوم واختلف الآراء في سبب هدم القنطرة حيث قيل انهدمت بسبب طول الزمان واستيلاء الخراب على المدينة وقيل بل هدمها البربر في زمان كاهنة البرابر[4].

1- عبد الحفيظ بورايو، مدينة قسنطينة في أدب الرحلات، مذكرة مقدمة لنيل درجة الماجيستير في الآداب، جامعة منتوري، قسنطينة، 2007-2008م، ص 144.

2- هاينريش فون مالتسن، ثلاث سنوات في شمال غربي افريقيا، ترجمة الدكتور أبو العيد دودو، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1980، ج1، ص 40.

3 - Teddy alzieu.memoire en images. Constantine. Page 22.

4- أحمد بن مبارك، المرجع السابق، ص 35.

في حين يقدم البكري وصفا دقيقا لهما إذ يقول: " ....في أسفله قنطرة على أربع حنايا ثم بني عليها قنطرة ثانية ثم على الثانية قنطرة ثالثة من خلات حنايا ثم بني فوقهم بيت يساوي ضفتي الخندق يعبر عليه إلى المدينة[1].

كما أنه لم يفصل صاحب كتاب الاستبصار في هندسة بناء القنطرة المشكلة من ثلاث قناطر واكتفى بالقول بل هي ثلاث قناطر بعضها على بعض وهي بالجو قربت من أعلى الخندق وعليها الدخول إلى باب المدينة"، وهي مدينة كبيرة عامرة قديمة أزلية فيها آثار كثيرة للأول وكان لها ماء مجلوب يأتيها على بعد على قناطر تقرب من قناطر قرطاجنة([2]).

يمكن القول بأن معظم الرحالة الذين قاموا بزيارة مدينة قسنطينة وصفها العديد منهم بمدينة الجسور المعلقة كونها تمثل آثار تاريخية بارزة التي مرت عليها عديد من الحضارات تاركين بصمتهم فيها.

كما وصفت بمدينة نظيفة وجميلة وسكانها وأنماط حياتهم والأحياء السكنية وشوارعها المنظمة والضيقة في أزقتها وطبيعة مناخها المتميز، فموقعها الإستراتيجي الهام جعل منها مدينة سياحية بامتياز وحاضرة من حواضر الثقافة العربية.

1- البكري، المسالك والممالك، المرجع السابق، ص 57-58.

2- مؤلف كجهول، كتاب الاستبصار في عجائب الأمصار، نشر وتعليق سعد زعلول عبد الحميد، الإسكندرية، 1985م، ص 61-65.

المبحث الثاني: المعالم الدينية

تعتبر المرافق الدينية من أهم المعالم في المدن الإسلامية وفي مقدمتها المساجد القرآنية، الزوايا، الأضرحة، فقد ارتبطت الثقافة في مدينة قسنطينة خلال العهد العثماني بهذه الأخيرة، حيث لم يكن يكاد حي يخلو من مسجد أو جامع بالإضافة إلى الدور الديني التي كانت تقدمه كانت تؤدي أيضا دور تعليمي تثقيفي في أوساط المجتمع القسنطيني مشكلة بذلك نسيج عمراني ثري بالمعارف الدينية والعلمية.

المطلب الأول: الجوامع والمساجد:

كثيرا ما يختلط على الباحث اسم الجامع والمسجد كون هذان المصطلحات يتذللان في الاسم بل حتى في الوظيفة، فالمساجد والجوامع كانت للعبادة والتعليم في نفس الوقت، كما أن لعنصر الحجم دور في تحديد وظيفة كل منهما.

1- الجامع اصطلاحا: هو الذي تؤدي فيه صلاة الجمعة والعيدين ويفوق المسجد من حيث الحجم وكثيرا ما يسمى بجامع الخطب أي الذي تلقى فيه خطب الجمعة والعيدين وبعض هذه الجوامع كان يسمى بالجامع الكبير أو الأعظم.

2- المسجد اصطلاحا: هو المكان للعبادة وأداء الصلوات الخمس ونشر العلم في نفس الوقت، فيذكر لنا أبو القاسم سعد الله إحصاءات حول عدد مساجد قسنطينة في العهد العثماني وبالضبط في عهد صالح باي[1]، حيث بلغت خمسة وسبعون مسجدا وجامعا بالإضافة إلى سبعة مساجد تقع خارج المدينة[2]، فكانت عدد المساجد التي بناها صالح باي خمسة مساجد وعدد من المساجد الصغيرة التي قدر عددها بأكثر من سبعين مسجدا[3].

1- صالح باي، وهو صالح بن مصطفى إزميرلي ولد بمدينة أزمير غرب الأناضول سنة 1137هـ-1725م، فهو تركي الأصل تولى بايلك الشرق سنة 1772م فعرفت فترات حكمه بأمن الفترات في تاريخ بايلك الشرق توفي في محرم 1207هـ/سبتمبر 1792م على يد حسين باي بأمر حسن باشا وسلمت جثته إلى أسرته فدفن في مدرسة سيدي الكتاني.

2- أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، دار الغرب الإسلامي، ط1، 1998، ص ص 245-246.

3- طاهري عبد الحليم، المرجع السابق، ص 1609.

أما الورثيلاني[1] الذي زار قسنطينة فقد ذكر: أن بها نحو الخمسة مساجد للجمعة وبعضها في غاية الإتقان حيث شب بعضها بمسجد الباشا في طرابلس وصرف منها أن صانعهما واحد[2]، وقد تم بناء هذه المساجد من قبل الأهالي والسلطة العثمانية على حد سواء وكان العثمانيون يشيدون المساجد بدوافع دينية محصنة وذلك كان لسبب معروف ألا وهو لخدمة المذهب الحنفي، فتميزت هذه الأخيرة بدقة البناء والجمال واستعمال الرخام والزليج في المحراب والتأنق في المنبر وقناديل الزيت والثريات والزرابي والزخرفة والنقوش بالحروف العربية والتركية وبناء العيون، كما شاع استخدام الفسيفساء وزخرفة النوافذ والأبواب وامتازت بالسعة وعلو الصوامع والدقة اللامتناهية في الجمال[3]، ومن بين أهم هذه الجوامع هي:

1- الجامع الكبير: يعد أقدم جامع بالمدينة ويعود بناءه إلى القرن 13 م خلال العهد الحفصي[4]، وقد اعتاد سكان قسنطينة تسمية الجامع الكبير أو الجامع الأعظم[5]، كما يقال أن تاريخ بناءه كان في فترة الدولة الصنهاجية الحمادية وبالضبط في عهد الأمير " بن تميم بن المعز بن باديس"[6]، كما قيل أنه كان موجودا منذ السنة السادسة للهجرة[7]، يقع بين

1- الورثيلاني : هو الحسين بن محمد السعيد الورثيلاني ولد في بني ورثيلان سنة 1125هـ وتوفي سنة 1193هـ، من أسرة جزائرية معروفة بالعلم له العديد من المؤلفات.

2- سيدي الحسين بن محمد الورثيلاني، الرحلة الورثلانية نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار، " مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، مصر، ط1، 2006م.

3- أبو قاسم سعد الله، " تاريخ الجزائر الثقافي"، ج1، دار الغرب الإسلامي، ط1، ص 80.

4- فاطمة الزهراء قشي، " معالم قسنطينة وأعلامه"، مرجع سابق، ص 13.

5- وردة نوري، " الجامع الكبير بمدينة قسنطينة تحفة تستقبل المصلين منذ 8 قرون"، جريدة الفجر www.djaz diress.com.2011/8/6.

6- بن تميم بن المعز بن باديس، ولد بالمنصورية سنة 422 هـ/1031م وولاه والده على إفريقية ويعتبر عصره من أزهى العصور كان يضرب به المثل في الشجاعة والإقدام توفي سنة 501هـ/1108م.

7- وردة نوري، المرجع السابق.

الساحة المسماة بالبطحاء وسوق الجلود[1] يتربح على مساحة معتبرة ويطل على عدة أحياء مهمة وقد شهد عدة تغيرات في العهد العثماني منذ سنة 1679م[2].

حيث تم ترميمه وتوسيعه وتحديده في الجهة الشرقية منه على يد شيخ الإسلام عبد الكريم الفكون[3]، وقد كان هذا الجامع في خدمة عائلة الفكون لمدة قرون كما كان مقرا لشيخ الإسلام[4]، على عزاز كوكبة من العلماء الذين تولوا التدريس فيه في مختلف الوظائف كالإمامة والخطابة على يد عبد الكريم الفكون الجديد سنة 975هـ/1567م[5] وعبد القادر المجاوي، الشيخ حمدان بن لونيس، والمتأخرين منهم: مرزوق بن الشيخ الحسين[6]، كان يقوم بدوره الديني المتمثل في الصلاة والتسبيح ودور تعليمي وهذا حسب ما جاء في اللوحة المنقوشة عند بابه[7].

2- جامع سوق الغزل: يرجع تاريخ تأسيسه إلى النصف الأول من القرن 17 م[8] وبالضبط في 1143هـ/1741م ويقال له جامع حسن باشا نسبة إلى مؤسسه الباي حسن بوكمية الذي

1- أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص 80.

2- وردة نوري، المرجع السابق،

3- عبد الكريم الفكون: هو عبد الكريم الفكون الفلسطيني، ولد بقسنطينة شهر ذي القعدة عام 988هـ/1580م وهو من أسرة عريقة اشتهرت بالعلم ينتسب إلى قبيلة تميم العربية تقلد عدة مناصب منها شيخ الإسلام وإمارة ركب الحج توفي 27 من ذي الحجة سنة 1073هـ/1662.

4- نفس المرجع.

5- أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ج5، ص 81.

6- أبو القاسم سعد الله، شيخ الإسلام عبد الكريم الفكون داعية السلفية، دار الغرب الإسلامي، لبنان، ط1، 1986م، ص 49.

7- أبوال قاسم سعد الله، المرجع السابق، ص 261

8- Abdelmadjid Merdaci. Constantine citadelle des vertiges photos kouider metair ; paris.2000. p 50.

حكم بايلك قسنطينة بين (1125-1149هـ/1113-1736م) وهذا حسب ما جاء في اللوحة الرخامية التي توجد حاليا بقصر أحمد باي، يقع هذا الجامع شرق قصر أحمد باي[1].

3- الجامع الأخضر: كان تأسيسه في أكتوبر عام 1743م، وبالضبط في آخر شعبان على يد الباي حسن بوحنك الذي تولى إدارة بايلك قسنطينة بين سنتي (1149-1168هـ/1736-1754)[2]، يطلق عليه جامع سيدي لخضر[3]، نسبة إلى الولي الصالح سيدي لخضر الذي كان يقوم بالإشراف على أمور هذا الجامع وهناك من يرجع أصل تسميته إلى لونه الأخضر حتى أنه سمي بالجامع الأخضر كما كان مرتعا لحلقات الدروس والتعليم[4]، يتوسط المدينة ويقع بالقرب من رحبة الصوف، تميز بالجمال وهو من مساجد المذهب الحنفي[5]، وقد ألحقت به مدرسة تسمى مدرسة سيدي لخضر والتي تم بناءها من قبل صالح باي كما كان يحتوي هذا الجامع على ضريح العائلة[6].

4- جامع سيدي الكتاني: تم بدأ تشييد هذا المسجد سنة 1188هـ/1774 م وتم إنهاء أشغال سنة 1776 وهو تاريخ تأسيسه[7] وهو جزء من موكب سيدي الكتاني[8] قام بتأسيس صالح باي، وهذا حسب ما جاء في الكتابة التذكارية المكتوبة في أعلى المدخل الرئيسي

1- دحدوح عبد القادر، المعالم الأثرية الإسلامية بمدينة قسنطينة خلال الفترة العثمانية، مجلة محكمة نصف سنوية، تصدر عن وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، العدد13، 2015، ص ص 69-70.

2- نفسه، ص 72.

3- أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ج5، ص 84.

4- زاوية جريدي وأمينة خرزي وآخرون، الحياة الثقافية في مدينة قسنطينة خلال العهد العثماني، مذكرة لنيل شهادة الماستر، تخصص تاريخ الجزائر والحديث، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة محمد بوضياف، المسيلة، 2014-2015، ص 29.

5- دحدوح عبد القادر، المرجع السابق، ص 72.

6- إشتهر هذا الجامع بدروس العلامة الشيخ عبد الحميد بن باديس منذ الحرب العالمية الأولى، أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ج5، ص 84.

7- طاهري عبد الحليم، المرجع السابق، ص ص 11-16.

8- نفسه، نفس الصفحة.

للجامع من الجهة الجنوبية له: " إن رمت تاريخه قبل سنة 1190هـ ذا مسجدا للعبادة[1] يقع بجوار سوق العصر[2] يحده من الشمال مدرسة سيدي الكتاني ومن الجنوب دار جلول، ومن الشرق سوق العصر ومن الغرب فتجاوره أحياء سكنية حيث أوقف صالح باي على هذا الجامع تسعة حوانيت هذا حسب ما جاء في دفتر الوقاف الخاص به.

– حيث يقول ابن النقاد في مخطوطه حول الجامع: " فبنى الشارع بعد أن كان مزاحا وبني وأقام به دورا وبنا جامعة المشهورة المسمى بسيدي الكتاني بناءا عجيبا ...وبه صومعة حسنة: " فتسمية الجامع جاءت نسبة إلى الضريح المعروف بسيدي الكتاني"[3].

بالإضافة إلى بعض الجوامع الأخرى نذكر: جامع الأربعين شريفا: جامع اليازوري، جامع الجوار، جامع الجوزة، جامع ذلي، جامع سيدي فاريش، جامع سيدي أبي عبد الله محمد الصفار، جامع سيدي علي بن مخلوف، جامع سيدي علي التلمساني، وكل هذه الجوامع خرجت أو هدمت أو حولت عن عزمها الأساسي عند الدخول الفرنسي للمدينة[4].

– أما المساجد فهي كثيرة وقد كانت جد ضرورية في الريف خاصة حيث لا تتوفر الزوايا فقد جاء في كتاب " التحفة المرمنية" عن دور المساجد في شقها التعليمي " ... فقد كانت فيما عدى أوقات الصلاة، مرتعا لحلقات الدروس اليومية ومحضا لفنون العلم التي كانت تدرس في ذلك العهد لاسيما في المدن والقرى، حيث لا زوايا تقوم بدورها في بت ما أمكنها من العلوم"[5]، فقد أدت هذه الجوامع والمساجد على حد سواء في العهد العثماني دورا أساسيا في التعليم فقد كانت تعقد بها حلقات العلم منذ عهد الرسول صلى الله عليه وسلم، ولم تكن

1– رشيد بورويبة، الكتابات الأثرية في المساجد الجزائرية، تر: ابراهيم شبوح، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1979، ص 179.

2– أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ج5، ص 84.

3– طاهري عبد الحليم، المرجع السابق، ص ص 11–16.

4– نفسه، نفس الصفحة.

5– محمد ميمون الجزائري، التحفة المرمنية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية، تح، تع، محمد بن عبد الكريم، دار الغرب الجزائري، الجزائر، ط2، 1981، ص 195.

المساجد مجرد أماكن تؤدي فيها الصلوات وحسب با كانت منبرا للعلوم والمعارف المختلفة والتي انتشرت في أواسط المجتمع القسنطيني على يد العديد من الشيوخ والأدباء[1]، ومن بين المساجد الكثيرة نذكر:

- **مسجد بن علناس:** وقد قال عنه " ميرسييه" بأنه حول عن غرمه الإسلامي بالإضافة إلى العديد من المساجد أيضا مثل مسجد سيدي الشاذلي، سيدي علي الطنجي، سيدي بوشداد، سيدي عفان، سيدي محمد بن ميمون، سيدي علي القفصي، سيدي ابراهيم الراشدي...[2].

المطلب الثاني: المدارس

لقد جاء في تعريف المدارس حسب محمد بن ميمون في كتابه " التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية": أن المدرسة مكان مخصص من أجل إلقاء الدروس وكانت هذه المدارس لا توجد إلا ببعض المدن الرئيسية منها مدينة قسنطينة وكانت أيضا عبارة عن مسكن للطلبة، ويقول " بول قافا ريل": كانت قسنطينة على عهد الأتراك....عاصمة دينية وكانت فئة العلماء فيها فئة ذات سيادة مطلقة وذات نفوذ تام كما أنها تحوي عدد كبير من الطلبة يتمدرسون في خمسة وعشرون مدرسة للعلوم الدينية والعلوم الأخرى[3].

فقد كانت مدارس قسنطينة خلال العهد العثماني مركزا رئيسيا للتعليم بالمنطقة وتعد مدارسها أغنى من مدارس مدينة الجزائر ووهران من حيث الدروس التي تقوم بها[4]، وهذا يعود إلى الاستقرار النسبي التي كانت تعيشه خاصة في عهد صالح باي الذي شهدت المدينة في عهده تهمه ثقافية كبيرة وأيضا قربها إلى تونس وتوافد العلماء عليها من البلدان

1- خيرة بن بلة وكريمة فليفلة دوادي، الحركة التعليمية ومراكزها بمدينة قسنطينة خلال العهد العثماني، مجلة الدراسات الأثرية، العدد1، 2019، ص 66.

2- أبز القاسم سعد الله، المرجع السابق، ج5، ص ص 87-88.

3- محمد ميمون الجزائري، المصدر السابق، ص 52.

4- عبد الحميد زوزو، نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر المعاصر، 1830- 1900، الجزائر، 2009، ص 217.

الأخرى لإلقاء حلقات من الدروس[1]، فقد كثرت المدارس خاصة في عهد صالح باي الذي تهمن بالتعليم واهتم بالعلم والعلماء فقد ثبت في سجله الخاص بالأوقاف أنه كان في قسنطينة على عهده مدرستان ثانويتان وهما سيدي بوقصيفة وسيدي ابن خلوف إلا أن هذا السجل لم يشر إلى المدارس الابتدائية[2].

ففي أواخر العهد العثماني كانت مدينة قسنطينة تحتوي على 90 مدرسة للتعليم الابتدائي ويتردد إليها حوالي 1350 طالب و لا يبقى منهم سوى 60 طالبا يواصلون تعليمهم الثانوي، والتعليم الثانوي كان له ما يقارب 7 مدارس تتسع إلى ما يقارب 600 أو 700 تلميذا، فكان عدد التلاميذ 15 تلميذا في كل مدرسة، يدخلونها في سن السادسة يتعلمون فيها القراءة والكتابة ويحفظون القرآن الكريم، إلا أن أغلبهم يغادرون المدرسة في نهاية السنة الرابعة.

أما التعليم العالي فقد كانت دروسه تنحصر في الفقه والحديث والفلك والحساب، وتستغرق دراسة هذه المواد سبع سنوات، وقد كان عدد المتتبعين للدروس العليا بقسنطينة في أواخر العهد العثماني سبعمائة طالب يتلقى من ضمنهم حوالي 150 طالب منها قوامها 10 ريال[3]، وكانت هناك أسر عريقة تولت مهمة بناء هذه المؤسسات وحتى التدريس بها في مختلف العلوم من فقه ولغة وحديث أمثال أسرة أولاد الشريف، أولاد نعمون، أولاد زكري، أولاد كوجك علي وبعض الأمر القسنطينة مثل أسرة ابن باديس، ابن الفكون، ابن جلول، باش تارزي، فقد أنتجت هذه المؤسسات خيرة المعلمين والشيوخ[4]، ومن أهم تلك المدارس نذكر:

1- أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ج1، ص 284.

2- محمد شرويك، جهود محمد الكبير وصالح باي في تشجيع حركة الثقافة والتعليم في الجزائر، مجلة العلوم الانسانية والحضارة، العدد8، جوان 2018، ص 576.

3- عبد الحميد زوزو، المرجع السابق، ص 217-219.

4- طاهري عبد الحليم، المرجع السابق، ص 1612.

1- المدرسة الكتانية: تم إنشائها سنة 1189هـ/1775م على يد صالح باي[1] واستمدت اسمها تبر كابالولي الصالح سيدي عبد الله المعروف بسيدي الكتاني وقد سبقها إنشاء مسجد سيدي الكتاني وهي ملاصقة من الناحية الشرقية[2] في الجزء الثاني من المدينة العتيقة وكذا بمحاذاة السوق الشعبي المسمى بسوق العصر[3]، في أعلى مدينة قسنطينة وهي قريبة من جسر سيدي مسيد[4] وقد خصص لها أوقافا خيرية بلغت 16 عقدا حسب ما جاء في سجل صالح باي للأوقاف.

وقد كانت لهذه المدرسة نظام خاص تمت صياغته من طرف صالح باي وأعضاء المدرسة الذين يشكلون مجلس المدرسة، وكان هذا في شهر سبتمبر 1780م بعد خمس سنوات من تأسيسها مثل أوقات التدريس وإلقاء الدروس والذي قسم إلى ثلاث دروس في اليوم بالإضافة إلى قراءة 4 أحزاب من القرآن الكريم كل يوم، وكان لا يتم قبول الشبان في المدرسة إلا لمن يحفظ منهم القرآن جيدا [5]، وكان الكثير من الطلبة يأتون من القرى والأرياف البعيدة فقد وفر لهم صالح باي الإقامة في المدينة وكان ذلك عند بعض العائلات القسنطينية الكبيرة مثل: عائلة الفكون، وكوشولي، ابن جلول، باش تارزي، وابن البخاري، فهو لم يتركهم بدون دخل عرضة للفقر والإهمال، ولم ينسى المعلمين والفقهاء والأئمة، فقد وضع لهم أجورا سنوية قارة من أموال الأوقاف الإسلامية[6].

1- محمد السعيد قاصري، المدرسة الكتانية بقسنطينة صرح ثقافي يصارع الزيان، عصور جديدة، العدد 18، 2015، ص 155.

2- دحدوح عبد القادر، المرجع السابق، ص 80.

3- طاهري عبد الحليم، المرجع السابق، ص 1612.

4- محمد شرويك، المرجع السابق، ص 576.

5- محمد السعيد قاصري، المرجع السابق، ص 156.

6- نفسه، ص 155.

أما فيما يخص مناهج التدريس في المدرسة فقد كان منبعها الأساسي الدين[1]، فلعبت هذه المدرسة دور كبير في نشر العلم و تثقيف العامة و تكوين جيل جديد من المثقفين فعمد صالح باي بانشاءه لهذه المدرسة لمحاربة الزوايا و التصوف البدعي[2]، كما أنها كانت تحتوي على مكتبة غنية بالكتب و المخطوطات و التي استولى عليها الجيش الفرنسي عند الدخول إلى المدينة[3].

2- مدرسة الجامع الأخضر: أسست سنة 1193هـ/1779م على يد صالح باي الذي ألحقها بالجامع الأخضر، فقد كانت المدارس في ذلك الوقت تشيد بجوار المساجد وذلك إن دل على شيء فإنه يدل على الصلة الوثيقة بين العلم والدين وكان يؤسس داخل كل مدرسة بيت للصلاة[4]، تقع هذه المدرسة بجوار الجامع الأخضر في الجهة الشرقية منه[5].

المطلب الثالث: الزوايا

- **تعريف الزاوية:** مصدرها زوى بفتح الزاي والواو وزوى الشيء يزويه زيا وزويا فانزوى ومعناه نحاه فتنحى، وزويت الشيء جمعته وقبضته، أو انزوى القوم بعضهم إلى بعض إذا تدانوا وتضامنوا الزاوية مفردا زوايا[6].

1- زينب علي وعبد الله مقلاتي، معهد الكتانية بقسنطينة ودوره العلمي والوطني، مذكرة لنيل شهادة الماستر، تخصص تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة المسيلة، 2013-2014، ص 10.

2- طاهري عبد الكريم، المرجع السابق، ص 1613.

3- محمد السعيد قاصري، نفسه المرجع السابق، ص 158.

4- حلوة حسينة، دراسة شخصية صالح باي 1771-1792، مذكرة لنيل شهادة الماستر، تخصص تاريخ الجزائر، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة محمد بوضياف، المسيلة، 2018-2019، ص ص 21-24.

5- دحدوح عبد القادر، المرجع السابق، ص 81.

6- جمال الدين أبي الفضل محمد بن مكرم ابن منظور، لسان العرب/ مج8، ص 339.

– كما يرجع أصلها إلى الانعزال وسميت بالزاوية لأن الذين فكروا في بناءها أول مرة من الهتصوفة والمرابطين اختاروا الانزواء بمكانها[1].

أما اصطلاحا: فقد كانت في البداية رباطا للجهاد[2] ثم تطورت إلى مركز التعليم والعبادة وأخيرا أصبحت مقاما ثم ضريجا ومزارا لأحد المرابطين[3]، وهي الموضع المعد لإرفاق الواردين من الطعام وإطعام المحتاج من القاصدين[4]، فهناك من يتخذها مسكنا مؤقتا أو مبيتا ثم يذهب وجهته وهناك من يأتيها لطلب العلم والذكر فقد كانت تسمى قبل القرن 15 هـ بدار الضيافة أو دار الكرامة[5].

وقد كانت الزاوية مقسمة إلى قسمين: القسم الأول يقوم بوظيفة تحفيظ القرآن الكريم، أما القسم الثاني فيقوم بتدريس بعض العلوم لاسيما الفقه والعقائد وقواعد النحو والصرف وفنون البلاغة والمنطق وبعض مبادئ علم الحساب والفلك و لا يؤمه في الغالب إلا الحافظون لكتاب الله[6]، والمسؤول عن الزاوية في الغالب هو مؤسسها أو المرابط نفسه أو ورثته وفي غيابه يتولى إدارتها أبنائه أو أحفاده على نفس النمط[7].

وحسب الإحصائيات ففي عهد صالح باي كان في مدينة قسنطينة 13 زاوية، أما في نواحي فقد وصلت حتى 16 زوايا خلوات سيدي الكتاني، سيدي المناطقي، سيدي عفان،

1– صلاح مؤيد العقبي، الطرق الصوفية والزوايا بالجزائر تاريخها ونشاطها، دار البرق، لبنان، بيروت، 2002، ص 301.

2– الرباط : اشتهرت الرباطات بحراسة اللفور منذ أوائل الفتح الإسلامي، تعتبر معاهد دينية تشبيه الزوايا غير أنها مواقع أمامية في وجه العدو، كان الأول من تأسيسها نحو الجهاد وكان الطلبة داخلها جنودا وعلماء في نفس الوقت لم تكن خاضعة لأي طريقة صوفية.

3– أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج3، دار الغرب الإسلامي، ط1، 1998، ص 170.

4– محمد ابن مرزوق التلمساني، المسند الصحيح الحسن في مآثر ومحاسن مولانا أبي الحسن، تر: ماريا خيسوس بيغرا، تج: محمود بو عيادة الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981، ص 413.

5– محمد عبد السلام بن عبد الله الناصري، المزايا فيها أحدث من البدع في أم الزوايا، الزاوية الناصرية، تر: عبد المجيد خيالي، دار الكتب العلمية، لبنان، ط1، 2003، ص 31.

6– محمد بن ميمون الجزائري، المصدر السابق، ص ص 58–59.

7– أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ج1، ص 271.

سيدي راشد، سيدي التلمساني، أما زوايا العائلات العلمية فنذكر زاوية الفكون، زاوية ابن نعمون، زاوية أولاد جلول، وكانت هناك زوايا خاصة بالأتراك والكزاغلة مثل زاوية رمضان حومة[1].

فلقد لعبت الزاوية في الريف دور أكثر إيجابية من تلك التي كانت بالمدينة، فبالإضافة إلى وظيفتها الدينية المتمثلة في نشر تعاليم الدين الإسلامي كانت تؤدي دور تعليمي المتمثل في تثقيف وتنوير العامة فقد كانت لها أراضي موقوفة ويذهب إنتاج هذه الأراضي من أموال إلى ما تحتاجه الزاوية في الصيانة وتغطية أجور المدرسين ومعيشة التلاميذ، ولا ننفي أن الزاوية بالمدينة لم تكن تقوم بدورها بل كانت تقوم هي الأخرى بدورها على أكمل ومن أهم هذه الزوايا نذكر[2]:

1- زاوية الفقون: تقع بحي الخرازين، كانت تنشر العلم وتطعم الطعام لمن يقصد دعما المعرفة وهي تضم ضريح العلامة الشيخ الكريم الفقون، كانت تعتبر من أهم الزوايا[3] في ذلك الوقت وتخرج من هذه الزاوية الكثير من أهل العلم والمعرفة[4].

2- زاوية ابن نعمون: وهي لأسرة تنحدر من سلالة بايات قسنطينة وفيها مقابرهم وبها تقام الصلوات الخمس وتؤدي الجمعة وتلقى فيها الدروس.

3- زاوية ابن محجوبة: شيدت سنة 1594م، واستمدت اسمها من المفتي القسنطيني ابن محجوبة والذي توفي سنة 1608م، وبقيت منها الكتابة التذكارية والتي كتبت على خشب الأرز وهي كالتالي: " وللذي أنشأها وأقام بنا.... يحيى بن محجوبة الله مهديها...اغفر له ما مضى".

1- رمضان خوجة، كان قائد الدار وبنى زاوية تعرف بزاوية رمضان خوجة ودفن فيها سنة 1220هـ/1805م.

2- نفسه، ص ص 264-270.

3- عبد القادر دحدوح، الزوايا بالجزائر خلال العهد العثماني، دراسات في آثار الوطن العربي، العدد 19، ص 171.

4- صلاح مؤيد العقبي، المرجع السابق، ص 315.

4- زاوية التلمساني: بنيت في عهد " حسن أغا" حسب ما جاء في الكتابة التذكارية في الجزء الأيمن منها وهي كالتالي: " هذه زاوية سيدنا محمد الشيخ رحمه الله[1].

5- زاوية النجارين: المعروفة بزاوية منصالة، كانت تعلم الكريم للأطفال[2]، سميت بزاوية النحاريف نسبة إلى سوق النجارين، أو زاوية حنصالة نسبة إلى الأريقة الحنصالية، وقد يرجع تاريخ بناءها لفترة سابقة لحكم صالح باي باعتبار أن أقدم ذكر جاء لها كان في القائمة المرفقة بدفتر أوقاضه[3].

6- زاوية سيدي عبد المؤمن: تنسب إلى سيدي عبد المؤمن الذي كان يشغل منصب شيخ الإسلام وأمير الركب الحجازي وظل في منصبه إلى غاية مقتله في 12 محرم 4/971 سبتمبر 1561 م، أما تاريخ بناءها غير محدد بدقة حيث توجد كتابة[4] تؤرخ سنة التجديدات التي طرأت عليها في سنة 1183هـ/1769م على يد صالح خوجة بن مصطفى بن محمد ملكي يكجري.

7- زاوية عبد الرحمان: تنسب هذه الزاوية إلى الشيخ عبد الرحمان بن حمودة بن مامش المعروف بباش تارزي المتوفي سنة 1221هـ/1806م و لا يزال بهذه الزاوية[5].

8- زاوية الشيخ الشليخي: أنشأ له الباي حسن بوحنك في أولاد عبد النور بقسنطينة[6]، أما في نواحي قسنطينة اشتهرت زاوية خنقة سيدي ناجي وزاوية بني بومسعود وزاوية بني مقران إلى غيرها من العديد من الزوايا.

1- نفسه، ص ص 336-337.

2- نفسه، ص 315.

3- دحدوح عبد القادر، المرجع السابق، المعالم الأثرية...، ص ص 89-90.

4- نفسه، ص ص 83-87.

5- نفسه، نفس الصفحة.

6- عائشة غطاس، الدولة الجزائرية الحديثة ومؤسساتها، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954م، 2007، ص 299.

ولكن بعض هذه الزوايا قد أصبحت مراكز لتدريب الأتباع على الثورة ضد السلطة ولاسيما في أواخر العهد العثماني، فقد ثار يحيى الأوراسي في إقليم قسنطينة وكذا الزبونشي، كما ثار الدر قاويون ابن الشريف وابن الأحرش...، ومن الآثار السلبية المترتبة على المعتقد الخاطئ في الزاوية أنها كانت ملجأ يلجأ إليه الهاربون من العقاب والقتل فقد الولاة والعامة يعتقدون بحصانة الزاوية[1].

المطلب الرابع: الأضرحة

- **الضريح لغة:** ضرح الشيء (بفتحتين) قطعة وشقة، وضرح القبر: هزه، وضرح الثوب ألقاه، وضريح الشيء (بفتح الضاء وسكون الراء) جمع أضراح: التاء والوحشة والمضطرح (يضم الميم وسكون الضاد): المرمي في ناحية، والضريح يقصد به أيضا: شق في الأرض في وسط القبر، وقيل القبر كله وقيل هو قبر بلا لحد، ويسمى ضريحا لأنه يشق في الأرض شقا أو لآن انضرح عن جانبي القبر خصار في وسطه[2]، وهو أيضا مكان يتوفر فيه قبر المرابط أو الولي الصالح ويرفق عادة بمسجد و بمرافق أخرى ويتكون غالبا من حجرة منخفضة مربعة الشكل تعلو عما قبة كما يتم تزيينه بواسطة الأعلام والزرابي المتعددة الألوان[3].

ومن أهم الأضرحة التي كانت موجودة في مدينة قسنطينة خلال العهد العثماني هي:

1- القبة الضريحية بمدرسة سيدي الكتاني: تقع هذه القبة الضريحية خلف صحن المدرسة الكتانية وتحتل الجزء الغربي من المدرسة[4]، يرجع تأسيس هذه القبة الضريحية إلى صالح باي مؤسس مدرسة سيدي الكتاني أما تاريخ تأسيسها فيعود إلى نفس السنة التي بنيت فيها

1- مصطفى بن حسان، المصدر السابق، ص 242.

2- عاصم محمد رزق، معجم مصطلحات العمارة والفنون الإسلامية، مكتبة مدبولي، ط1، 2000، ص 174.

3- عائشة غطاس، المرجع السابق، ص 302.

4- عبد القادر دحدوح، المعالم الأثرية، المرجع السابق، ص 94.

المدرسة 1189هـ/1775م([1])، وتضم هذه المقبرة مجموعة كبيرة من القبور تعود في الواقع إلى صالح باي وأفراد عائلته وأقاربه وقد كانت هذه القبور مصنوعة في غالب الأحيان بالرخام والزليج بالإضافة إلى بعض القبور التي تضم شواهد من الخشب[(2)].

2- القبة الضريحية بالجامع الأخضر: تأسس على يد الباي بوحنك كان بناءها في أواخر شعبان 1165هـ أكتوبر 1743م، تقع هذه القبة في الجهة الغربية خلف الجامع الأخضر[(3)]، وهي عبارة عن امتداد معماري للجامع وكما يفصلها عن الجامع سوى فناء يتوسطهما، وأول من دفن بها هو الباي بوحنك في سنة 1168هـ/1754م، ثم حفيده المدعو حسونة في سنة 1214هـ/1799م[(4)].

3- ضريح السيدة زهراء: بين موسى بن عيسى المتوفي سنة 898هـ/1492م وقال عنه شيريونو أنه لم يبقى من كتاباته إلا ما بقي على حيطات المدرسة الملاصقة لجامع سيدي لخضر وقد تم تحميل هذه الكتابات من جامع سيدي العريش.

4- ضريح الشيخ المدرس حسن بن علي بن ميمون بن القنفذ المتوفي سنة 664هـ/1256م وقد وجه حجر شاهده الرخامي بجامع سيدي العريش[(5)] .

لقد أدت المعالم الدينية من مساجد ومدارس وزايا وأضرحة في مدينة قسنطينة خلال العهد العثماني دور كبير وفعال في نشر الدين الإسلامي بالدرجة الأولى فقد كانت المساجد تؤدي دور ديني وتعليمي في آن واحد وقد استحدثت المدارس والزوايا من أجل تخفيف العبء على المساجد والتخلص من ضوضاء الأطفال، فقد اهتم الحكام الأتراك وخاصة صالح باي بالعلم والعلماء، حيث شارك في بناء العديد من المساجد والمدارس وحتى

1- عبد القادر دحدوح، الأضرحة بالجزائر خلال العهد العثماني، دراسات في آثار الوطن العربي، العدد 18، ص 1159.

2- تاح بن جدو، شهود القبور الرخامية في الجزائر في العهد العثماني، مجلة التراث، العدد4، 2007، ص 57.

3- عبد القادر دحدوح، المعالم الإسلامية، المرجع السابق، ص 93.

4- عبد القادر دحدوح، الأضرحة بالجزائر، المرجع السابق، ص 1157.

5- أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج5، ص 148.

الأسر العلمية كان لها دور في نشر المعلم كعائلة الفكون فقد كان بناء المدارس نتيجة المبادرات الفردية ولعل الزوايا كانت هي الأخرى ذات صيت واسع خاصة في الريف.

نظرا لقلة المدارس فهناك فقد كانت تنشر العلم بين الفقراء والمعوزين والراغبين في تحصيل المعرفة من أبناء الشعب، فكان المجتمع يترك بالأولياء الصالحين والذين نجد أسمائهم في المساجد وفي الأضرحة بشكل خاص وقد شاع في ذلك الوقت زيارة القبور لمعتقدات دينية لكنها دخلت حيز الخرافة في أواخر العهد العثماني.

المبحث الثالث: المعالم المدنية لمدينة قسنطينة خلال العهد العثماني

اكتسبت مدينة قسنطينة شهرتها بفضل نوعية موضعها واحتوائها على معالم تاريخية عديدة وأهلها لتكون مركز عبور بين مختلف الأقاليم الهامة للبلاد، وبذلك تشكل محور تتلاقى فيه شبكة الطرق الممتدة عبر المدن الجزائرية في مختلف الجهات جعل منها مدينة التجارة لاحتوائها على مجموعة من الأسواق المتمحورة داخل المدينة خاصة الصناعات التقليدية ومختلف الحرف التي كانت تمارس (الدباغة، التجارة، الحدادة....)، كما أنها تحتوي على عدد وافر من المعالم المدنية كالقصور والمنازل التي كان لها طابع مميز بالإضافة إلى الفنادق التي غالبا ما تتوسط الأحياء الرئيسية الأربعة: حي القصبة، الطايبة، القنطرة، الجابية من أجل تسويق التجارة.

المطلب الأول: أسواق مدينة قسنطينة

يعتبر السوق من المرافق الضرورية لأي دولة و لا تقتصر أهميته في كونه مجالا لتبادل السلع فقط، بل يعكس التفاعل الاجتماعي بين العناصر الاجتماعية حيث يزوره العامة والخاصة الكبار والصغار يوميا[1].

فمدينة قسنطينة كغيرها من المدن الإسلامية تحتوي على مجموعة من الأسواق تنقسم بين نوعين أسواق عامة وأسواق متخصصة في حرفة معينة، تتوزع هذه الأسواق بشكل منتظم وفق معايير وأسس ومراقبة محكمة.

وفي ذلك يقول البكري: " بها أسواق جامعة ومتاجر رابحة[2] مما يوحي بأن المدينة كانت عاصرة وكثيرة الأسواق ومنظمة حسب الصنائع والحرف ونجد أن حسن الوزان يدعم

1- فيفي بن قارة محمد، الأسواق التجارية للجزائر خلال العهد العثماني " مدينة الجزائر نموذجا"، مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر في تاريخ الجزائر الحديث، جامعة محمد بوضياف، المسيلة، ص 06.

2- البكري أوعبيد الله، المسالك والممالك، ج2، تحقيق أدريان فان ليوفن وأندري فيري، بيروت، دار الغرب الإسلامي، 1992م، ص 729.

هذا القول بقوله: " وأسواق المدينة عديدة، حسنة التنسيق، وأن جميع الحرف فيها مفصول بعضها عن بعض.... وفيها عدد كبير من التجار[1].

1- مواقع الأسواق:

I- الأسواق غير المتخصصة:

1- سوق التجار: يقع في قلب المدينة وهو من الأسواق المفتوحة حيث يتشكل من عدد كبير من الحوانيت التي تفتح في الشارع الرئيسي الذي يربط بين باب الواد وباب القنطرة، إضافة إلى الشوارع الخانوية التي تتفرع عنه وهو يضم العديد من الحرفيين الذين تتشكل منهم مجموعة من الأسواق المتخصصة مثل سوق السراجين الذي يقع في الناحية الشمالية من مسجد سيدي عبد الرحمان القروي وجنوب دار الباي دار الإمارة، يليه سوق الصباغين وفيما بينهما يوجد سوق الغرابلين وسوق البرادعيين والخضارين والجزارين والقصاعين والخراشيفين والنجارين وفي الناحية الجنوبية من هذا السوق يوجد سوق الرقاقين.

2- سوق الغزل: ينفتح سوق الغزل على الشارع الرئيسي الرابط بين باب الواد وسوق العصر وسوق الجمعة وهو يقع بين حي الطايبة وحي ميلة الصغيرة والحي التجاري الذي يربطه به طريقان ثانويان، يوجد بأحدهما سوق الصاغة والثاني سوق الشبارليين[2].

3- سوق العصر: يقع سوق العصر بين القصبة من الشمال وحي الشارع من الجنوب الذي استحدثه صالح باي لليهود، وقد قام هذا الأخير بإنشاء فندقا وعدة حوانيت أوقفها على مجمعها المعماري الديني المعروف بسيدي الكتاني جامع ومدرسة ومقبرة وينفتح هذا السوق على شارعان رئيسيان الأول ينطلق من الباب الجديد باتجاه حي الطايبة ثم إلى القصبة[3].

1- حسن الوزان، وصف إفريقيا، المرجع السابق، ص 56.

2- خولة نواري، الحرف والصناعات في أسواق قسنطينة من خلال مخطوط دفتر أحباسها (القرن 10-11هـ/16-17م)، مجلة روافد، المجلد 03، العدد01 جوان 2019م، ص 49.

3- دحدوح عبد القادر، أسواق مدينة قسنطينة خلال الفترة العثمانية، دراسات في آثار الوطن العربي، ص ص 230-231.

ينتهي عند سوق العصر والشارع الثاني يبدأ من باب الواد ويمر شمال دار الباي وبين جامع سوق الغزل وسوق الغزل ثم يستمر إلى غاية سوق العصر ويعد هذا الشارع من الشوارع الرئيسية وربما كان مخصصا للطبقة الحاكمة والاستعراضات الرسمية خاصة وأن جزءا منه يحمل اسم زقاق البلاط، كما يرتبط هذا السوق بطريقين آخران الأول يربط برحبة الصوف ومنها إلى سوق التجار والثاني يوصل إلى سوق الجمعة.

4- سوق الجمعة: يقع سوق الجمعة في طرف المدينة العاصر في اتجاه الحرف نحو الشمال الغربي وقد كانت أكبر وأشهر من سوق العصر التي استمرت إلى أيامنا هذه في حين اندثرت الأولى إثر التغييرات العمرانية التي عرفتها المدينة بعد الاحتلال الفرنسي والتي تمثلت في توسيع الشوارع وجعل السوق في شكل رحبة بدل شكل الرواق الذي كان سائدا.

5- سوق باب الجابية: تحتل هذه السويقة موقعا استراتيجيا تربط بين باب الجابية وباب القنطرة وهي تتوسط الحي الذي يعرف بحي باب الجابية وعليها تتفتح عدة طرق وشوارع ثانوية أهمها رنقة بن كازلي وزنقة الدرداف وزنقة سيدي عفان وزنقة العمامرة فضلا عن الطرق التي تقع بالناحية الشمالية الغربية منها والتي تربطها برحبة الجمال وسوق التجار[1].

6- سويقة بن مقالف: تقع بحي الطايبة وهي تربط بين مختلف أجزائها وحوماتها حيث تقع بشمالها الطايبة الكبيرة وفي جنوبها الموقف وحومة مصاصة وفي غربها الطايبة الرانية وفي شرقها حومة سواري، كما تقع على الشارع الرئيسي للمدينة الذي يربط بين الباب الجديد والقصبة[2].

7- سوق الموقف: يقع بالقرب من باب عند مفترق الشارعين الرئيسين اللذان ينطلقان من هذا الباب باتجاه باب القنطرة وسوق العصر، كما أنه يقع بالقرب من دار الباي التي كانت فيها تدار شؤون حكم المدينة و البايلك، فضلا عن وجود أزقة عديدة تتفتح عليه تربطه

1- دحدوح عبد القادر، نفسه، ص 232.

2- دحدوح، نفسه، ص 232.

برحبة الجمال و بحي الطايبة، كان هذا السوق بمثابة المكان أو الساحة التي تتوقف فيها القوافل الداخلة إلى المدينة أو كان بمثابة سوق جملة ليعاد بيعها بالتجزئة داخل الأسواق الأخرى حسب الحاجة و الاختصاص لهذا سمي بسوق الموقف.

8-السوق الكبير: هو في الحقيقة يقع ضمن محيطه و نطاقه إذ نجده بجوار الجامع الأخضر في موضع يتوسط بين سوق التجار جنوبا ورحبة الصوف شرقا وحي ميلة الصغيرة شمالا وسوق الخلق غربا.

9- سوق الخلق: هو الآخر يقع ضمن نطاق سوق التجار فهو يتوسط بين سوق الغزل وسوق التجار وعلى نفس الشارع يوجد به السوق الكبير والمؤدي إلى رحبة الصوف[1].

II- الأسواق المتخصصة:

كانت بمدينة قسنطينة عدة أسواق متخصصة وهي في غالبيتها تتوزع على الشارع الرئيسي الذي يربط بين باب الوادي وباب القنطرة وتتمركز خاصة في سوق التجار ومن أهم تلك الأسواق نذكر ما يلي:

1- سوق العطارين: تقع هذه السوق عند بداية الشارع المذكور بالقرب من باب الواد شمال رحبة الصوف وتستمر إلى غاية مسجد سيدي عمر الوزان.

2- سوق السراجين: يأتي بعد سوق العطارين على نفس الشارع و هو يبدأ من مفترق الطرق حيث يوجد مسجد يسدي الفوال بالناحية الشمالية للشارع و مسجد سيدي عبد الرحمان القروي بالناحية الجنوبية و في شماله توجد دار الباي و ينتهي عند سباط باشا أغا[2].

3- **سوق الصباغين:** يبدأ من حيث ينتهي سوق السراجين و منه ينقسم الشارع الرئيسي إلى شطرين أحدهما شمالي و الأخر جنوبي و في الأول يوجد سوق الصباغين.

1- خولة نواري، الحرف والصناعات، المرجع السابق، ص ص 49-50.

2- دحدوح عبد القادر، المرجع السابق، ص 232.

4- **سوق الشبارليين:** يقع على طريق ثانوي يتفرع عن الشطر الشمالي من الشارع الرئيسي و يتعامد عليه باتجاه الغرب و هو يربط بين الشارع الرئيسي و سوق الغزل.

5- سوق الصاغة: سوق المسايسية (بائعي الأساور) ويسمى سوق الصاغة وهو يحتل طريقا ثانويا يربط بين سوق التجار وسوق الغزل وبشكل متوازي مع سوق الشبارليين كما يوجد في طرفه الغربي سوق الغزل وحمام سوق الغزل وهي بالقرب من سوق الحدادين[1].

6- سوق الحدادين: يقع بالقرب من سوق الصاغة غير أنه يسير في اتجاه الشطر الشمالي للشارع الرئيسي وهو محصور بين زنقة سيدي ضرار وحمام بن جلول.

7- سوق القزازين: يبدأ من حيث ينتهي سوق الحدادين لكنه يساير طريقا فرعيا وبشكل متعامد على الشارع الرئيسي في اتجاه الغرب، لينفتح في طرفه الغربي على الشارع الرئيسي الذي يربط بين باب الواد وسوق العصر حيث يوجد زقاق البلاط[2].

8- سوق القصاعين[3]: يقابل هذا السوق جانبا من سوق الحدادين وسوق القزازين وهو يقع على نفس الشارع والاتجاه مع سوق الخلق ويستمر في الجهة الجنوبية للشارع ليقابل جزءا منه السوق الكبير حيث يقع الجامع الأخضر.

9- سوق الغرابلين: يبدأ عند مفترق شطري الشارع الرئيسي حيث توجد زاوية بن الفقون بالناحية الشمالية ومسجد سيدي عبد الرحمان القروي بالناحية الجنوبية وهو يساير الشطر الجنوبي للشارع.

10- سوق البرادعيين: وهو يلي سوق الغرابلين إلا أنه يحتل طريقا فرعيا يتجه غربا ليربط بين شطري الشارع الرئيسي وفي بداية هذا الطريق يوجد فندق الزيت.

---

1 – ديفل سميحة، صناعة الحلي بقسنطينة خلال العهد العثماني، قسم التاريخ والآثار، جامعة عبد الحميد مهري قسنطينة 2، مجلة المواقف للبحوث والدراسات في المجتمع والتاريخ، العدد رقم 11 ديسمبر 2016، ص 180.

2- دحدوح عبد القادر، المرجع السابق، ص 34.

3- فاطمة الزهراء قشي، المرجع السابق، ص 17.

11- سوق الخضارين: وهو يتبع سوق الخضارين وعلى نفس الطريق الفرعي وينتهي عند سوق القصاعين حيث يوجد الجامع الأخضر والسوق الكبير.

12- سوق الجزارين[1]: وهو يتبع سوق الخضارين وعلى نفس الطريق الفرعي وينتهي عند سوق القصاعين حيث يوجد الجامع الأخضر والسوق الكبير.

13- سوق الخراطين: يقع سوق الخراطين على الشطر الجنوبي للشارع الرئيسي ويبدأ من أمام فندق الزيت وينتهي عند سوق النجارين.

14- سوق النجارين: وهو يتبع سوق الخراطين على نفس الشارع وينتهي عند طريق فرعي ينتهي إلى الغرب بشكل متعامد على الشارع الرئيسي.

15- سوق الخراشفين: يبدأ من دار تشذرلي باي ويساير الطريق الفرعي الذي ينتهي عنده سوق النجارين، أما نهاية هذا السوق فهي تقع عند سوق القصاعين وهي نفس النقطة التي يتوقف ندها سوق الجزارين.

16- سوق الرقاقين: يقع على الشارع الرئيسي في شطرة الجنوبي بعد سوق النجارين ويستمر إلى غاية حي ميلة الصغيرة.

17- سوق الدباغين: اكتفى مرسي بتحديد مكان دار الربح فقط والتي تقع في الطرف الجنوبي الشرقي وهو نفس المكان الذي لازالت قائمة فيه إلى اليوم[2]، أما عائشة غطاس فتذكر بان صناعة الدباغة تحتمل وجود جماعتين نظرا لوجود مشغلين أوورشتي عمل ورشة وجدت داخل المدينة عرفت بدار الدباغة للعناصر البلدية أما الثانية فكانت خارج أسوار المدينة وكانت خاصة بالعناصر التركية[3].

1- حنيفي هلايلي، أوراق في تاريخ الجزائر في العهد العثماني، الطبعة 1، دار الهدى للطباعة ولنشر والتوزيع، الجزائر، 1429هـ/2008م، ص 192.

2- دحدوح، نفسه، ص 34.

3- عائشة غطاس، الحرف والحرفيون بمدينة الجزائر 1700-1830 م، مقاربة اجتماعية، اقتصادية ن أطروحة لنيل شهادة دكتوراه دولة في التاريخ الحديث، ج1، كلية العلوم الإنسانية، جامعة الجزائر، 2000-2001، ص 168.

2- إدارة السوق (التنظيم):

كانت إدارة السوق في معظم المدن الإسلامية موكلة إلى مجموعة من الموظفين في مقدمتهم:

- **قائد السوق:** وهو أمين السوق مهمته جمع الضرائب وتفتيش السوق.
- **القباني:** وهو الذي يزن السلع والبضائع وهو طرف محايد بين البائع والمشتري.
- **المثمن:** يوجد هذا الموظف في غالب الأحياء في الفنادق ووظيفته تحديد أثمان السلع ومراقبة الأثمان.
- **البواب:** يوجد في مدخل كل سوق مهمته فتح باب السوق في أوقات محددة ومراقبة الداخلين والخارجين ويسهر على حراسة السوق[1].

المطلب الثاني: قصور ومنازل قسنطينة

1- قصر أحمد باي: الواقع بجوار جامع سوق الغزل، تحده أربعة شوارع تتقدمه من الجهة الجنوبية ساحة بني الحواس ليس هناك ما يؤكد تاريخ بناء القصر بشكل دقيق إلا أن هناك نصوص تاريخية تذكر أن أشغال بناءه دامت عشر سنوات بداية من 1826 إلى غاية 1836م على يد البارعين " الحاج الجابري والخطابي" والمهندس الإيطالي " شيانينوا"[2] وهو من القصور التي جمعت الفن الأندلسي والممغاربي والمحلي والإيطالي والتركي، حيث أن المؤرخ جي دو باهاسون وصف قصر الباي أحمد بأنه واحد من أعمل نماذج فن العمارة العربية، كما يشهد ذلك كل الرحالة الذين رأوه وشبهوه بمساكن ألف ليلة وليلة، لا شيء ألفت الانتباه من الحدائق الغناء بداخله والتي تعطيه طابعا شرقيا جميلا[3].

1- تسعديت ارناتن، الأسواق في الجزائر خلال العهد العثماني (1519-1830م) مدينة الجزائر، نموذجا مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر في التاريخ الحديث، جامعة البويرة، 2016-2017م، ص 20.

2- سعد بوفلاقة، المرجع السابق، ص 34.

3- بورايو عبد الحفيظ، قسنطينة في أدب الرحلات، المرجع السابق، ص

فقصر الحاج أحمد الباي رمز للسلطة بالرغم من أن القصر لم يشيد إلا في نهاية العشرينات من القرن التاسع عشر إلا أنه يعتبر أجمل وأوسع قصر في قسنطينة على الإطلاق ويحتوي أربعة أجنحة في مربع مائل تقام فيه المجالس القضائية ويستقبل فيها الأجانب والغرف الأرضية كلها مغطاة بالأجر الأحمر جدرانها مدهونة ومغلقة بأنواع حجرية مطلية بمادة لامعة ويحوي زرابي تركية أيضا[1]، لذلك وصفه الرحالة هاينريش فون مالتسن بأنه القصر الوحيد بين الآثار المعمارية العربية الذي بقي سليما ولعل سر ذلك كونه جديدا مطابقا لمقاييس العمارة الحديثة ومن ثم سلم من عملية الهدم التي انتهجتها فرنسا في الجزائر[2].

2- إقامة صالح باي: هي عبارة عن منتجع للراحة يقع على بعد 8 كلم شمال غرب قسنطينة كان من قبل منزلا ريفيا خاصا، قام صالح ببناءه سنة (1185-1207هـ-1771-1792م) وهي تقع ضمن المركب الديني والتجاري الذي شيده صالح باي وهي مطلة على جامع ومدرسة وضريح سيدي الكتاني من جهة وعلى سوق العصر من جهة أخرى ثم تغيرت تسميتها إلى دار بن جلول[3]، لقد تعرضت الدار إلى تغييرات كبيرة خاصة في عناصرها المعمارية فقد أضيفت لها بعض العناصر والزيادات غيرت كثيرا في أصالتها الأولى خاصة فيما يتعلق بالواجهات فقد تغيرت كثيرا في الفترة الاستعمارية[4].

3- دار الدايخة بنت الباي: تقع بحي الويقة في الجهة السفلية بين نهج دعوة قدور من الجهة الغربية ونهج كوزيات من الجهة الشمالية يحمل الرقم 06 في السجل الولائي، أما أصل التنمية فحسب الرواية الشفوية المتداولة بين الناس خاصة العائلات التي تقيم بالدار أنه ينسب إلى حفيدة إحدى بايات قسنطينة وتتكون الدار من ثلاثة طوابق طابق أرضي

1- فندلين شلوصر، المرجع السابق، ص 75.

2- هاينريش فون مالتسن، المرجع السابق، ص 40.

3- طاهري عبد الحليم، المرجع السابق، ص 1616.

4- رشيد بورويبة، المرجع السابق، ص 126.

وطابق علويين وتشهد الدار في الوقت الحالي حالة يرثى لها نظرا للأضرار البشرية والطبيعية التي لحقت بها[1].

4- دار بن شريف: تقع في حي واقع بين شارع العربي بن مهيدي أو السكة الجديدة (الشارع الوطني سابقا) وشارع ديدوش مراد يحمل الرقم 05 في السجل الإداري للمنازل بمدينة قسنطينة أن دار بين شريف ينتمي إلى مجموعة ثلاث منازل (دار بن طبال، ودار بن شيكو) وتعتبر الأقدم رغم ندرة المعلومات المتوفرة وهي ملك " **لشاكر باي**"[2]، تعرضت الدار إلى تحطيم من طرف شاكر باي وقد انتقلت ملكية الدار إلى عائلة بن شريف[3].

المطلب الثالث: فنادق مدينة قسنطينة

تعتبر الفنادق من أشهر أشكال الإقامة وأوسعها انتشارا وأقدمها عهدا تقوم على توفير حاجيات النزلاء من إيواء وطعام وشراب، وكانت مدينة قسنطينة تحتوي على عدة فنادق يقيم فيها الجالية اليهودية التي لجأت إلى مدينة قسنطينة نتيجة الاضطهاد الروماني لهم، ففروا إلى العديد من مناطق شمال إفريقيا وكانت قسنطينة منها[4]، لكن في الوقت الذي تعرض فيه اليهود للاضطهاد في عدد من البلدان المسيحية كإيطاليا واسبانيا والبرتغال وحتى فرنسا كانت الشعوب الإسلامية هي الوحيدة التي وجدوا فيها مكانا آمنا[5]، وكانت هذه الجاليات تشغل بالتجارة والمسائل المالية داخل المدينة وكان التجار اليهود القادمين للمدينة ينامون في الفنادق التي كانت الجالية المسيحية تقطنها، وكانت غالبة الجاليات المسيحية من التجار الفرنسيين والإيطاليين الذي لا يطول بهم المقام في المدينة وذلك بعد التسويق لتجارتهم ومن الفنادق التي كانت مأوى للتجار، وكانت هذه الفنادق ملكية خاصة لأن

1- شاكر باي، حكم المدينة من 1814-1817م.

2- دحدوح عبد القادر، المرجع السابق، ص 99.

3- العياشي هواري، المرجع السابق، ص 55.

4- أعراب فهيمة، ملحق مذكرة، المرجع السابق، ص 184.

5- عصور الجديدة، مجلة فصلية محكمها مختبر البحث التاريخي، تاريخ الجزائر، جامعة وهران، الجزائر، عدد خاص بقسنطينة عاصمة الثقافة العربية، عدد 18، خريف اكتوبر 1436-1437هـ-2015، ص 184.

الفنادق في ذلك الوقت يعد ملكا عقاريا للجالية المسيحية وهي التي تقوم بإصلاحها وتوسيع بناياتها وترميم وبناء الكنائس حسب رغبتها وتبقى هذه الفنادق عادة بالقرب من الأحياء التجارية والأسواق ومن الفنادق نذكر[1]:

- **فندق بني مزاب:** يقع هذا الفندق بقلب المدينة حيث كان يقع سوق التجار، أخذ هذا الفندق تسميته نسبة إلى مالكه الذي يرجع في أصله إلى بني مزاب، ولا يزال الحرفيون والتجار بالفندق من الشيوخ الكبار يذكرون صاحبه الأول، وإلى جانب هذه التسمية عرف الفندق حديثا باسم " **فندق الزيت**"[2] الذي هدمه الاستعمار الفرنسي بعد فتح النهج الوطني (شارع العربي بن مهيدي حاليا)[3].

ومن خلال ما تم ذكره حول المعالم المدنية لمدينة قسنطينة ومن خلال تحليلنا لما جاء في المصادر نستنتج أن:

مدينة قسنطينة تميزت بنمط عمراني فريد من نوعه كونها مبنية فوق صخرتين تربطهما العديد من الجسور المعلقة وهذا لتنوع الثقافات العمرانية في المنطقة بدءا بالثقافة الإسلامية العريقة وامتزاجها بالطابع العثماني لاحقا يشكل لنا نمط جديد مميز عن باقي الأنماط الأخرى، حيث تتوفر على معالم ومزارات تاريخية ومواقع أثرية مازالت بعض باقاياها إلى اليوم محفوظة في المتاحف يهوى لرويتها السياح من جميع أقطار الدنيا كلها شواهد صادقة بها لهذه الحاضرة من ماضي مجيد.

1- أعراب فهيمة، نفسه، ص 184.

2- دحدوح عبد القادر، المعالم الأثرية الإسلامية خلال الفترة العثمانية، المرجع السابق، ص 110.

3- أنظر الملحق رقم (03)، مدينة قسنطينة في العهد التركي.

وفي ختام هذا العرض يمكن القول أن المعالم التي تمت دراستها في هذا الفصل تعد من أبرز المعالم الأثرية التي ترجع إلى الفترة العثمانية بمدينة قسنطينة وهي تشهد على تنوع معماري وفني كبير شهدته المدينة.

- تم وصف مدينة قسنطينة من قبل العديد من الرحالة والجغرافيين في شتى المجالات، فقد وصفوا جمال تلك المدينة العريقة وسكانها وشوارعها وأسواقها.

- عرفت مدينة قسنطينة خلال العهد العثماني العديد من المنشآت الدينية كالمساجد والمدارس والزوايا والأضرحة والتي كان لها دور كبير في عملية التعليم والإرشاد وتحفيظ القرآن الكريم، حيث كان للزوايا الدور الكبير في ذلك خاصة في الريف نظرا لقلة المؤسسات خاصة المدارس، فقد كانت هذه المؤسسات تؤدي دور ديني وتعليمي في نفس الوقت.

يمكن القول بأن فترة حكم صالح باي كانت من أفضل الفترات في تاريخ قسنطينة حيث قام هذا الأخير بالاهتمام بالمدينة من كل النواحي لتعرف فترة حكمه استقرار وتطور ملحوظ في كل المجالات.

الفصل الثاني: الحمامات العثمانية في مدينة قسنطينة

المبحث الأول: ماهية الحمام

المطلب الأول: تعريف الحمام ونشأته.

المطلب الثاني: الحمامات العثمانية بمدينة قسنطينة.

المطلب الثالث: الكادر الوظيفي للحمام.

المبحث الثاني: الجانب المعماري للحمامات

المطلب الأول: المواد المستعملة في البناء.

المطلب الثاني: العناصر الزخرفية للحمامات في مدينة قسنطينة.

المطلب الثالث: مقارنة حمامات قسنطينة بحمامات الجزائر (حمام قصر الداي وحمام سوق الغزل نموذجا).

تعد الحمامات من أهم المرافق الحضرية في المدن الكبرى فقد انتشرت منذ القدم فلم تتواني الحضارات السابقة عن بناء الحمامات، لكنها لم تعرف تلك الأهمية والمكانة في حياة المجتمعات إلا في الحضارات الإسلامية، وكان للعثمانيين الفضل الكبير في بناء العديد من الحمامات بنوعيها العام والخاص في مختلف المدن ومنها مدينة قسنطينة التي كانت تحتوي على عدد لا بأس به من الحمامات العمومية خاصة ارتادها الناس لأغراض الطهارة والنظافة والتدليك والوقاية من الأمراض، خاضعة بذلك لهيكل وظيفي يسهر على حسن تسيرها وعملها من رئيس الحمام إلى آخر موظف يعمل فيه، فكانت هذه الحمامات غاية في الجمال والروعة بصهاريجها الملونة وقلبها المضيئة ونوافذها الصغيرة وما زاد بها جمالا وروعة تلك النقوش والزخارف النباتية والهندسية التي طبعت على جدرانها وغرفها الواسعة وأراضيها التي بطلت بالرخام، فقد كانت تحفة للناظرين ومقصدا للزائرين، وبالرغم من أن هذه الحمامات قد بينت من قبل العثمانيين في القطر الجزائري في ذلك العهد إلا أن هذه الحمامات اختلفت في بعض المعايير واشتركت في أخرى.

المبحث الأول: ماهية الحمام

المطلب الأول: تعريف الحمام ونشأته:

لقد وردت الكثير من الشروحات والتفسيرات في أصل كلمة (حمام) في المعاجم العربية، فيعرفه محمد عاصم رزق: الحمة (بتشديد الميم): العين الحارة، وحممت الماء بفتحتين: سخنته، والحميم هو الماء الحار[1]، كما جاء ذكر كلمة الحميم في القرآن الكريم في الآية: "وسقوا ماءاً حميما"[2]، واستحم أي اغتسل بالحميم هذا هو الأصل ثم أصبح كل اغتسال استحماما بأي مكان كان[3].

والحمام مذكر الحمامات، ولا يقال طاب حمامك وإنما يقال: طابت حمتك بالكسر أي حمِيُك أي طاب عرقك والحمة كل عين فيها ماء حار ينبع، وأول من شن هذه الحمامات هو سليمان عليه السلام[4].

أما الحمام في مفهوم العامة حاليا هو مكان الاستحمام والاغتسال بالماء داخل قاعات مجهزة خصيصا لذلك، وكلمة الحمامات قديما مشتقة من[5] الكلمة الإغريقية " ترموس" والتي تعني الساخن، كما كانت كلمة " باليسترا" عند الإغريق تعني مكانا عموميا للحركات الجسمية بينما أصبحت تعني عند الرومان المكان العمومي الذي يتمكن فيه الناس من الاغتسال[6] وترجمت في اللغة الفرنسية بعبارة " حمام مورسكي" BAIN Mautes[7].

1- محمد عاصم رزق، المرجع السابق، ص 84.

2- مختار الصحاح، الرازي محمد بن أبي بكرين عبد القادر، تح: محمود خاطر، لبنان، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، 1995م، ص 66.

3- القرآن الكريم، سورة محمد، الآية 15.

4- مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز بادي، القاموس المحيط، تع: الشيخ أبو الوفا نصر الهوريني المصري الشافعي، تج: أنس محمد الشامي وزكريا جابر أحمد، دار الحديث، القاهرة، مصر، 2008، ص ص 407-408.

5- موساوي عربية سليمة، المرجع السابق، ص 2.

6- نفسه، ص 2.

7- كريمة خضير، المرجع السابق، ص 33.

الحمام على نوعين هناك حمامات خاصة وبشكل عام هي تلك التي وجدت في منازل بعض الأثرياء والقصور الخاصة حيث يقول في هذا الصدد الدكتور محمد الطيب عقاب" إن الحمامات الخاصة نجدها كثيرا في الدور الكبيرة والقصور وهي إما بغرفة واحدة أو غرفتين أو ثلاثة غرف وبسيطة في مخططاتها"[1].

والحمامات العامة والتي كانت لجميع الناس وكل طبقات المجتمع دون استثناء وعرف هذا النوع بقريب من المساجد الجامعة أو مساجد الأحياء وسط المدينة أو أحياءها السكنية[2].

عرف فضاء الحمام منذ القدم واختلف الباحثون في نسبته إلى حضارة معينة، فالبعض ينسبه إلى الحضارة الفرعونية والبعض الآخر إلى الحضارة الإغريقية ولكنه ظل إرثا تتوارثه الحضارات بعد الحضارتين الإغريقية والرومانية إلى أن أصبح فالطابع خاص في الحضارة الإسلامية التي حافظت على مكوناته المعمارية الأساسية[3]، كما انتشرت الحمامات بكثرة في العهد العثماني خاصة في القرنين الخامس عشر والسادس عشر ويعود سبب انتشار الحمامات إلى سببين مهمين منها: توافر المياه المعدنية الطبيعية من جهة والدين الإسلامي الحنيف الذي يعتمد مبدأ أن النظافة من الإيمان وتميزت هندسة الحمام بأسلوب تهيئة مميز جعل هذا الفضاء موطنا للحرارة والرطوبة، وهذا هو السر الذي جعله فضاء مهما في حياة الناس إنها الحاجة إلى الدفء والتعرف من أجل حسن عمليات الشطف والفرك فقد اهتم المعماريون وقتها بكثرة لتأمين درجة الحرارة مناسبة لكل قاعات الحمام فاتخذوا تدابير كان من شأنها أن يحافظ على درجة حرارة الماء من جهة ومن جهة

1- محمد الطيب عقاب، قصور مدينة الجزائر في العهد العثماني، دار الحكمة، الجزائر، 2012، ص 43.

2- محمد بن حمو، المرجع السابق، ص 31.

3- الهادي الشتوي المقطوف، الحمامات في الحضارة الإسلامية، مجلة كليات التربية، جامعة الزاوية، العدد الواحد والعشرون أبريل 2021م، ص ص 424-425.

أخرى كل ما يضمن المحافظة على جو حار عبر تسخين الجدران الداخلية لهذه العمارة[1] تتألف الحمامات العثمانية من ثلاث أقسام أساسية، كما هي الحال في بقية الحمامات وفي القسم البارد هناك المعطيات الخشبية للجلوس عليها قبل الاستحمام وبعده في القسمين الفاتر والساخن، بالإضافة إلى استخدام الرخام الملون في الأرضيات والسيراميك في الجدران، هناك أيضا سمة خاصة ومصمة في الحمامات العثمانية وهي إنشاء حمامين بشكل مزدوج ومتلاصق الأول للرجال والثاني للنساء[2].

يشترك بين الحمامين جدار فاصل في القسم الساخن لكلا الحمامين وعن أكبر الحمامات العثمانية التي بناها المعمار **سندان** عام 1553م هو حمام السلطان أحمد الواقع في منطقة السلطان أحمد بمدينة اسطنبول (القسطنطينية) عاصمة الدولة العثمانية، فكان الحمام يعني المتعة والتسلية ولم يقتصر على وظيفته فقط، بل كان مكانا للقاءات النسوة وفضاء يوم كامل في الحمام ويأخذن معهن الصابون والسواك والليمون للزينة، بالإضافة إلى الفواكه والحلويات وهناك مناسبات وأفراح تتم في الحمام كأخذ العروس قبل بعد زفافها مع الأقارب والأصدقاء وتعد الحمامات مكانا مناسبا للأمهات لاختيار الزوجة الجميلة لأبنائها وهكذا نجد أن الحمامات أخذت حيزا مهما من تاريخنا وعاداتنا الاجتماعية كذلك كان للحمام دوره البارز في الأغراض العلاجية للعديد من الأمراض[3].

المطلب الثاني: الحمامات العثمانية بمدينة قسنطينة

لقد احتوت مدينة قسسنطينة خلال العهد العثماني على ما يقارب 20 حماما كل حمام له مميزاته المعمارية الخاصة، لكن هذه الحمامات اندثرت مع مرور الزمن لعدة أسباب

1- فضيلة كريم، موجز تاريخ الحمامات، المرجع السابق، ص 15.

2- خيرة بن زيان، المرأة والفضاءات الاجتماعية المحلية (السوق، الحمام، الحلاقة)، دراسة ميدانية لمدينة حمام بوحجر، رسالة لنيل شهادة دكتوراه علوم في علم اجتماع، كلية العلوم الاجتماعية، قسم علم الاجتماع، جامعة وهران 2، 2016-2017م، ص ص 142-143.

3- المرآة والحمام، المرجع السابق، ص ص 15-16.

منها الاحتلال الفرنسي ولم يبق منها اليوم سوى ثلاثة حمامات قيد العامل وهي حمام ثلاثة وحمام دكوج وحمام سوق الغزل، وفي هذا المبحث سننطلق إلى أهم الحمامات العمومية التي كانت بقسنطينة.

1- حمام سوق الغزل[1]: بني هذا الحمام في أواخر العهد العثماني[2] وبالضبط بين سنتي 1827-1835م[3] وسمي بهذا الاسم نسبة إلى سوق الغزل الذي يقع بجواره[4] يقع في سوق التجار في المدينة القديمة يجاوره حي سكني وتجاري بالقرب من جامع وقصر أحمد باي وملاصق للمساكن المجاورة، غير مرئي من الشوارع الرئيسية سهل الوصول يستطيع أي أحد الوصول إليه وقريب من الأسواق أيضا، يستخدمه أهل الحي والمدينة النواحي الطبية والاحتفالات، ويعتبر أيضا كفندق للمبيت بالنسبة للغرباء أو المسافرين، كما تجدر الإشارة إلى أن هذا الحمام كان يتصل مع قصر الباي عبر نفق أرضي[5] وهو الأكثر شعبية بين حمامات قسنطينة في ذلك الوقت لأنه يقع في قلب المدينة لذا يقصده جميع سكان الحي والمدينة[6] أو عنصر معماري للحمام هو المدخل والذي يقع في الجهة الغربية بابه من خشب والذي ينزل منه مباشرة إلى التسويقة وهي مكان مخصص للاستراحة والانتظار وبها مصطبة للجلوس تمتد من الجهة المقابلة للباب إلى المدخل، وقد غطيت الأرضية ببلاطات وزيت الجدران بالزليج والسقف مصنوع من العصى ويتكون من ثلاث غرف وهي:

1- أنظر ملحق رقم 4 لصورة توضح مدخل الغرفة الدافئة، نقلا عن: محمد بن حمو.

2 - Ernest Mercier. Constantine wait la conquête francaise 1837, Tinterprete traducteur. 1878.p 32.

3 - Samir faura- samira Benzagouta.the Reuse of hamam Sur Elgergale :toword Sa Sutainable future ; p 204-208.

4- عبد القادر دحدوح، المعالم الأثرية الإسلامية...، المرجع السابق، ص 102.

5- رولي رفعت أبو خاطر، الحمامات التقليدية ضمن النسيج العمراني للمدينة الإسلامية مقارنة في عدة مدن متوسطية، إنسانيات، العدد 63-64، جانفي.جوان 2014، ص ص 90-91.

6 - Samir Faura+ Samira Benzagouta, Ibid.p 204-208.

– **الغرفة الباردة:** يتم الوصول إليها عبر مدخل يقع على يمين السقيفة في أقصاها لها باب من خشب وإذا قمنا بالنزول بدرجة واحدة فإننا نقابل مباشرة المسؤول عن الحمام، تتوسط هذه الغرفة مساحة مربعة ترتفع إلى الطابق الأول المخصص للنوم عبر ثلاثة أعمدة مغطاة بقبة مضلعة، أما أرضية الغرفة فهي مبلطة بالرخام الأصلي.

– **الغرفة الدافئة:** يتم الوصول إليها عبر مدخل من يسار الغرفة الباردة وهي لا تحتوي على بوابة وأرضية هذه الغرفة تمتد بشكل طولي وبها صهريجين من الماء البارد والساخن وأرضيتها نصفها من الرخام، أما سقفها فهو عبارة عن قبو نصف أسطواني يمتد على طول هذه الغرفة وبها فتحات أسطوانية عددها ثلاثة من أجل الإضاءة والتهوية ويحمي مغطاة بزجاج شفاف.

– **الغرفة الساخنة:** على يسار الغرفة الدافئة نجد مدخل يؤدي إلى الغرفة الساخنة وهي غرفة مستطيلة، تم فصل جزء منها وخصصت القاعة للعروس يتم الوصول إليها عبر مدخلين وقد بلطت أرضيتها بالرخام، أما الجزء الكبير من هذه الغرفة تحتوي على مصطبة يتمدد عليها المستحمون للتعرق.

– يحتوي الحمام أيضا على حوض صغير مدرج في أسفل الحائط يعزف منه الماء فتحة مستطيلة يصب فيه الماء الساخن الآتي من الفرن وعلى يسار هذا الحوض نجد صهريج كبير من الماء البارد مبلط بالرخام[1].

كما يقام في وسط الحمام " السرة" وهي المكان الذي يتم فيه تدليك الرجال والنساء كما يعتبر مساحة للتعرق والتقشير والتدليك[2]، وفيه أيضا **الفرن أو الفرناق:** يقع خلف الحمام له مدخل بجوار المدخل الرئيسي للحمام خصص جزء من المساحة التابعة له لسكن المدلكين، وكان المدخل الرئيسي للفرن عبارة عن فتحة في جدار الفرن كان ينزل منه بسلم حديدي في

1– محمد بن حمو، حمام سوق الغزل بقسنطينة، مجلة قرطاس، العدد 2،جانفي، 2015، ص ص 301–302.

2– Khadîdja Adel– Noria Benbaghrite ; Hammam pratique etrintuelle aujourd'hui Insaniyat , n 63–64, janvier– juin, 2014, p 61.

الجدار ومنه تلقى الأخشاب في الفرن، وهناك مدخل آخر مقابل للمدخل الرئيسي بعد مكان الفرناق يؤدي إلى غرفة مسقفة حيث نجد هناك صهريج ماء أصلي وهو الذي يمد الحمام بالماء ومنه ما يصرف إلى القدر للتسخين ومنه ما يسيل مباشرة في الأحواض الداخلية في كل من الغرفتين الدافئة والساخنة[1].

أما بالنسبة لدور هذا الحمام بالذات فقل لعب دور صحي ووسيلة للنظافة ومعالجة الأمراض، كما أنه يعتبر مكان للاجتماعات والمناقشات واللقاءات، و كذلك تشكيل صداقات جديدة ويتم فيه إبرام مشاريع الزواج، أما بالنسبة للدور الهيكلي لهذا الحمام فهو يهدف إلى تحقيق التوازن في النظام الاجتماعي فالحمام قد يكون المكان الوحيد الذي لا يوجد فيه تمييز اجتماعي، بل فاق دوره الصحة والتقاليد الاجتماعية وأصبح مكانا لعقد الصفقات التجارية والاستثمار[2].

2- حمام بلبجاوي[3]: بنى هذا الحمام في أواخر العهد العثماني بالمدينة وبالضبط في بداية القرن التاسع عشر[4]، يقع هذا الحمام بحي باب الجابية[5].

ينسب هذا الحمام إلى محمد بن البجاوي الذي يتمتع بمكانة كبيرة في مدينة قسنطينة بالضبط في عهد أحمد باي وكان يشغل منصب قائدا لدائرة، وقد كان له الفضل في الدفاع عن المدينة أثناء الحملة الفرنسية الثانية على المدينة والذي استشهد فيها بتاريخ 4 رجب 1253هـ/ 13 كتوبر 1837م[6]، كما يوجد ما يؤكد على تاريخ بناء هذا الحمام بالتحديد،

1- محمد بن حمو، المرجع السابق، ص 302.

2 - Nedjoua meheni, « La preconnaissonce Architecturale d'un patrimoine, Socio- culturel case de M Hammam « souk el.ghezel » de la médina de constantine. Mémoire pour l'obtention du diplôme de majistiter. Université mentouri Constantine. Faculté des sciences de la terre de la géographie et de l' aménagement du territoire.2011.p 230.

3- أنظر ملحق رقم05 لصورة توضح عقود وسدة المحرس بحمام بلبجاوي، نقلا عن: عبد القادر دحدوح.

4 - Ibid. p 212.

5- عبد القادر دحدوح، المعالم الأثرية الإسلامية بقسنطينة، المرجع السابق، ص 106.

6- الزبيري محمد العربي، مذكرات أحمد باي، المصدر السابق، ص 74-75.

إلا أن الشخص المنسوب إلى الحمام وهو محمد بن البجاوي قد عاش في أواخر الحكم العثماني لذا فهو حمام عثماني بحت وما يؤكد هذا هو ذلك الطراز العثماني المعماري والفني للحمام وكذلك الأعمدة والتيجان والبلاطات الخزفية التي اقتسمت من المعالم العثمانية بالمدينة، كما أن تخطيطه المعماري لا يختلف عما كان مألوفا في المدينة خلال نفس الحقبة التاريخية[1].

هذا الحمام مخصص لجلسات الرجال فقط أي أنه يستقبل الرجال من غير النساء، ويتكون من جزأين متميزين: غرفة تغيير الملابس والحمام نفسه بالإضافة إلى منطقة التدفئة ويتم الدخول إلى الحمام عبر سقيفة[2] ويتكون من ثلاثة غرف وبالإضافة إلى الفرناق.

- **غرفة تبديل الملابس أو المرحاض:** هذه الغرفة مستطيلة الشكل يمكن الوصول إليها من الخارج بواسطة " سقيفة" تحتوي على ثمانية أعمدة تدعم " الميزاتين".

- **الحمام نفسه:** وينقسم بدوره إلى ثلاثة أقسام.

- **الساس:** تشبه السقيفة وهي بمثابة جسر أو رابط بين غرفة خلع الملابس والغرفة الدافئة، بها مراحيض ويمكن اعتبارها كغرفة واحدة باردة[3].

- **الغرفة الدافئة:** مربعة الشكل بها حوض ماء بارد ومقعد يعمل كمنظم لدرجة أرضيتها مبلطة بالرخام وسقفها مشكل من جزأين أحدهما مربع والآخر منحرف ولها نفس نظام الغلق والفتح مع باب القاعة الساخنة والدافئة بحمام سوق الغزل ومنه يتم الدخول إلى القاعة الساخنة[4].

- **الغرفة الساخنة:** مربعة الشكل وتحتوي على عدة محاريب كبيرة وأربع خلواس تذكرنا بالحمام التركي النموذجي فهي تتشابه مع تلك التي وجدت في تركيا، بها هو من ماء ساخن

1- عبد القادر دحدوح، نفسه، ص 106.

2 - Nedjoua meheni, Ibid, p 212.213.

3 - Ibid, p 213.

4- عبد القادر دحدوح، نفسه، ص 108.

نصف دائري وحوض آخر بارد مستطيل وتتم إضاءة الغرفة بواسطة المناور في قبتها فهي تتمتع بجو مضيء ولطيف أرضيتها مصنوعة من بلاطات خامية[1].

وتتم عملية الاستحمام كما في حمام سوق الغزل بواسطة دلو بلاستيكي كبير يموج فيه المستحم الماء الساخن والبارد، ويدخل داخل مقصورة، أما خارج المقصورة يتم التدليك[2].

- **الفرناق:** يقع خلف القاعدة الساخنة يتم الوصول إليه عبر منجدين الأول عبارة عن باب يقع في الطرف الشرقي من الجدار الجنوبي للفرناق ينفتح على الشارع الخلفي للحمام، بينما الباب الثاني يربطه بالمدرس، وفيه يتم الدخول من الباب الذي يقع بالجدار الشرقي من هذا الأخير ومنه إلى الجدرة الملحقة بالحمام في هذه الناحية، والتي بها سلم خشبي صاعد إلى سطح الحمام، ومنه عبر درجات هابطة تدخل إلى الفرناق، وهذا الأخير ذو شكل مستطيل يغطيه قبو نصف دائري وقد كان الحطب يجلب من الباب الخلفي للفرناق، ومنه أيضا يتم إدراج الدخان في حين كان الدخان يمر عبر قنوات في أسفل أرضية القاعة الساخنة ليعطيها حرارة أكثر، ثم يخرج في الجهة المقابلة للفرناق داخل مدخنة[3].

غرفة المرجل: يقع خلف الغرفة الساخنة مباشرة بالأسفل من غرفة تغيير الملابس، يتم الوصول إليها من خلال مساحة عازلة رطبة وتحتوي الأخيرة على صنابير مياه، بالإضافة إلى غرفة صغيرة (يبدو أنها غرفة للتدليك).

3- حمام دقوج[4]:

ينقسم هذا الحمام إلى قسمين رئيسين الحمام وغرفة المرجل

---

1 - Nedjoua meheni, Ibid, p 215.

2- عبد القادر دحدوح، نفسه، ص 108.

3- عبد القادر دحدوح، نفسه، ص 109.

4- يقع هذا الحمام في حي مقابل محطة التلفيريك " تاتاش بلقاسم" بالقرب من ساحة انتظار السيارات التي تحل محل الشارع القديم، يقع تحت منزل تمت إضافة جزء منه في الفترة المعاصرة وكان يستخدم كسكن لمدير الحمام يتم ضمان التعرف على هذا الحمام فقط من خلال كتابة جدارية تشير إلى الحمام، هذا الحمام مخصص لجلسات الرجال فقط على الرغم من أنه تم اختناقه للسيدات ولكن يبدو انه توقف عن العمل لعدة سنوات.

– **الحمام**[1]: غرفة خلع الملابس في غرفة تغيير الملابس: غرفة متواضعة بها عداد أمين الصندوق على يسار المدخل يتم ضمان هذا المدخل من خلال أول مبنية الساس ثم " سقيفة" الغرفة مستطيلة الشكل لها منصات في كل مكان والتي نضع عليها مراتب الراحة بعد الحمام ليس لديها أي فتح للإضاءة أو التهوية علاوة على استخدام النيون للضوء طوال اليوم لها درجان أحدهما من الخشب على يمين المدخل المؤدي إلى المستوى الثاني وهو " ميزانيين" مخصص للراحة أثناء فترات البرد الشتاء في ضوء درجة الحرارة التي يحتوي عليها درج ثان من ثلاث درجات في البناء والباقي من الخشب وتقع في أسفل القاعة يؤدي إلى الشرفة[2]، توجد غرفة ملحقة مستطيلة الشكل ووظيفتها الحقيقية غير ملحوظة من جانب بها خزانان للمياه الباردة أضيفتا مؤخرا وعلى الجانب الآخر بها منصة الافتراض، تم إلصاقها بالتغيير الغرف كغرفة استراحة، ولكنها تتحول إلى غرفة باردة أو حتى غرفة لتجميع الماء البارد والتي ستكون بعناية احتياطي.

– **الغرفة الباردة:** تلعب بيت البرداء " دور ساس" بين الغرف الدافئة وغرفة خلع الملابس لها شكل مستطيل خال من المقاعد نستنتج منها: أنها ليست معدة للغسيل بل تلعب دور المخفف، درجة الحرارة تضاء بواسطة كوة تقع في سقفها قبو أسطواني وله أنبوبان يصعدان إلى الشرفة التي تعمل بمثابة فتحات التهوية كذا تشتمل على غرفة مرحاض.

– **بيت الوسطى:** مربعة الشكل ولها مقعد في الحائط من الأمام يوجد به ركن خاص للغسيل والتشميع على يسار المدخل، هذه الغرفة مفتوحة مباشرة على الغرفة الساخنة التي تتلقى منها الحرارة.

1– أنظر ملحق رقم 6، همام دقوج، نقلا عن: Nedjoua meheni.

2 – Ibid, p 195–197

– **بيت السخونة:** غرفة مستطيلة الشكل بها حوض ماء ساخن في منتصف الجدار الأيسر ببساطة منطقة التدفئة خلق هذا الصندوق خزان آخر للمياه الباردة " الجابية" تحتوي على كواتين جانبتين مضاءة بمناور سقفية على شكل قبو أسطواني.

– **غرفة المرجل:** " **الفرناق**" تقع خلف الغرفة الساخنة مباشرة مدخل ضيق للغاية بخطوات صغيرة حالته الحالية تكشف عن حالة من التدهور الشديد للغاية، يعمل النظام حاليا مع الغاز الطبيعي بشكل عام الحمام عبارة عن مبنى متواضع التكوين لا يحترم التعاقب التدريجي على صخور مستقيم[1].

4– **حمام عويشة[2]:** ويسمى أيضا الحمام المزابي نسبة إلى مالكه المزابي يقع هذا الحمام في شارع " كامل بلوسيف" غير بعيد عن مسجد سيدي لخضر الذي يقع في الشارع المتعامد مع الحمام لا يمكن التعرف على المبنى إلا بإشارة مكتوبة وسهم في الجدار المجاور للمدخل الرئيسي، سنة بنائه غير معروفة قد يكون لها نفس فترة بناء مسجد سيدي لخضر حيث يقع بالقرب منه، هذا الأخير بني في منتصف القرن الثامن عشر وهو الباي " بوحنك" الذي قرر بناءه.

يستقبل النساء في الصباح حتى 2 بعد الظهر بينما جلسة الرجال يبدأ الساعة 3 مساءا وهي مقسمة إلى قسمين رئيسين ومتميزين:

– **المرحاض الراحة[3]:** المساحة التي تخلع فيها ملابسك ويسبقها مدخل رئيسي يفتح على " غرفة معادلة الضغط" قبل الوصول إليها، الباب المعدني في المدخل الرئيسي مستطيل الشكل وباب المدخل مستطيل الشكل ولكن من الخشب والزجاج وربما تم تركيبه مؤخراً، وتحتوي هذه الغرفة على منصات على الجانبين ترتفع 20 سم عن مستوى أرضية غرفة النوم، وهذه المساحة المغطاة بالسجاد تضمن الراحة بعد الاستحمام، هناك أيضا أعمدة

1 – Ibid, p 197.

2– أنظر ملحق رقم 07، حمام عويشة نقلا عن: Nedjoua meheni

3– غرفة الراحة: غرفة صغيرة في الجزء الخلفي تستخدم كمرحاض.

مربعة الشكل بدون أي زخرفة، أربعة متطابقة من نفس الحجم واثنتين من المربعات الأخرى تدعم الطابق العلوي[1] الذي يلعب دور الميزانيين والذي أصبح حاليا مستودعا بسيطا، حيث يتم تخزين حصائر الراحة القديمة، توجد أيضا غرفة نوم مجاورة حيث توجد المراتب، لا توجد فتحات في الغرفة تؤدي إلى الخارج لذا تفتقر غرفة المعاطف إلى الإضاءة الطبيعية والتهوية، كما يوجد ركن بالقرب من المدخل مخصص للمالك " مولات الفنيق" لاستلام الوصفة الخاصة.

يتألف هذا الفضاء من غرفتين حراريتين مختلفة ذات أبعاد مميزة:

- **الغرفة الوسيطة:** تلعب دورا مزدوجا بين غرفة فاترة بمتوسط درجة حرارتها وغرفة باردة لأنها تأتي مباشرة بعد المرحاض وتحتوي على مقعد في أحد الزوايا للغسيل والتشميع الخاص بينما يوجد في الزاوية الأخرى غرفة المرحاض تحتوي هذه الغرفة على خزان مياه بارد يزود الغرفة الساخنة والمراحيض، تتم الإضاءة بواسطة كوة جانبية ويتم تفريغ تراكم البخار بواسطة أنبوب يبدأ من اللوح العلوي إلى الخارج.

- **الغرفة الساخنة:** تدخل " بيت السخونة" مباشرة عبر الغرفة الوسيطة من خلال باب حديدي بنظام الفتح " للخلف والأمام" وهذه الغرفة مستطيلة الشكل فقط في المدخل على اليسار، غرفتالن صغيرتان مخصصتان للتنظيف الخاص وإزالة الشعر بالشمع، يوجد في الأسفل حوض ماء ساخن مغطى بالخزف وخزان ماء بارد " الجابية" يتم استخدام الماء منه بواسطة مانع تسرب.

تحتوي على كواتين جانبتين في اتجاه طول الغرفة، وهي مضاءة من الجدران المتقابلين للكوات، بمناور من الطوب الزجاجي (تيفادا) هذه الغرفة مغطاة بقبو أسطواني[2].

1- Nedjoua meheni, Ibid, p 190.

2 - Ibid, p 191.192.

5- حمام بوقوفة: يقع بالقرب من حمام " دقوج" ولكنه بني بعده بفترة طزيلة في القرن التاسع عشر، يتم تحديد مدخله على زقاق من المقاطعة التي يمتد إلى " رحبة الصوف" أسفله بناية متواضعة الحجم من البناء ويتكون من جزأين مهمين هما:

- **الحمام: مرحاض الراحة:** وهو مستطيل الشكل صغير يحتوي على أربعة أعمدة تدعم الميزانيتين كمستوى ثان، تمت إزالة وظيفة الميزانين وتحويل هذه المساحة إلى مسكن الأسرة التي تدير الحمام.

- **الغرفة الوسيطة (الباردة):** هذه القطعة مستطيلة الشكل طويلة جدا وصغيرة العرض من نوع رواق، ليس لديه وظيفة محددة جيدا، فهو يلعب دور الغرفة الباردة درجة حرارته من خلال وجود خزان ماء بارد يغذي الحاوية في الغرفة الساخنة لذلك لن تسمح هذه المساحة بشنت الحرارة نحوها.

- **الغرفة الساخنة:** هذه هي أهم منطقة في الحمام حيث يتم النشاط الرئيسي، لها شكل مربع تقريبا ولها عمودين يدعم القبو الأسطواني يتم توفير الإضاءة في هذه الغرفة بشكل طبيعي بواسطة المناور، يتم وضع حوض الماء ساخن المربع الشكل بالقرب من حوضي المياه الآخرين بارد، في البداية لم يكن البركة الأولى عند مدخل الغرفة موجودة بل كانت كذلك شيدت لمساعدة حوض" الجيب" الثاني لإمدادات المياه.

- **غرفة المرجل: الفرناق:** يتم الوصول إلى المبنى من خلال مدخل ثانوي يؤدي إلى الشرفة يقع في الطابق السفلي ويمكن الوصول إليه من خلال فتحة في مستوى سطح الأرض من المبنى.

6- حمام الشط[1]: يعتبر من أقدم الحمامات التي بناها العثمانيون يقع بحي الشط[2] بجانب الوادي، ويسمى أيضا حمام " ثلاثة" والذي يعني الرقم ثلاثة وهذه الشهرة مرتبطة برسوم

1- أنظر ملحق رقم 8 لصورة توضح حمام الشط (ثلاثة)، نقلا عن: Nedjoua meheni.

2- بن عمراني يوسف وزيان العمري، مرجع سابق، ص 57.

الدخول المحدد بثلاثة سوردي بدل من خمسة سوردي المطلوبة في باقي الحمامات كما يطلق عليه اسم حمام" الشيخ قادري الزواوي" نسبة إلى صاحبه في ذلك الوقت، وعلى عكس الحمامات الأخرى فإن الحمام مبني على صخرة عالية فوق الوادي والتي لها الفضل في التسمية الرابعة للحمام وهي حمام " الهوا" وتعني حمام الجرف، وهذا الحمام لا يزال على قيد العمل إلى يومنا هذا.

ينقسم هذا الحمام المتواضع إلى جزأين مهمين: غرفة تبديل الملابس والغرفة الساخنة متصلان ب "SAS".

- **غرفة الاستراحة:** وهي غرفة صغيرة مربعة الشكل لها منصة مضاءة بشكل مصطنع لعدم وجود ضوء طبيعي مما يعطيها مظهرا قائما في الغرفة، وهذا الحمام بالذات يفتقر إلى الزخرفة والديكورات، وتوجد غرفة أخرى تقع خلف المرحاض لها مدخلين أحدهما عن طريق المرحاض والثاني باب معدني على جانب المدخل الرئيسي تعتبر كغرفة ملحقة للراحة، وهناك غرفة أخرى ذات باب خشبي تعتبر مسكنا إضافيا للمدلك والعاملين[1].

- **SAS:** تقع بعد غرفة خلع الملابس مباشرة وتعمل هذه المنطقة على الحفاظ على درجات الحرارة.

- **الغرفة الساخنة:** وهي ذات شكل مربع مقسمة إلى جزأين الأول يحافظ على مظهر الحمام والثاني ضيق قليلا ويضم جو منين أحدهما للمياه الساخنة والآخر للمياه الباردة " الجابية"[2].

7- حمام بن طبال[3]: يطلق عليه أيضا حمام " بن شريف"[4] نسبة إلى مالكه في ذلك الوقت وهو أكثر اتساعا وتميزا عن حمامات المدينة، يقع في السويقة السفلية وعلى بعد مسافة صغيرة من الزاوية التيجانية السفلية ويتكون من:

---

1 - Nedjoua meheni, Ibid, p 207-208

2- أنظر ملحق رقم 9 لصورة توضح حمام بن طبال نقلا عن: Nedjoua meheni.

3 -Ibid . p 209.

4 - Ernest Mercier. Ibid.p 32.

– **غرفة الاستراحة:** وهي غرفة واسعة وضخمة مقارنة بالحمامات السابقة وهي ذات شكل مستطيل، وهناك أيضا غرفة يتم فيها تخزين المراتب، وغرفة نوم مجاورة للحمام مخصصة أيضا للراحة لكنها تستخدم غالبا في أوقات الاحتفال والظروف السعيدة كاستقبال العروس.

يختلف الميزانين في تركيبته فهو مقسم إلى جزأين ويمكن الوصول إليه من كل الجانبين عن طريق سلالم حجرية مدعمة بأربعة أعمدة ذات تيجان[1].

– **الغرفة الباردة:** هي مساحة عازلة بها درجات حرارة باردة ولكنها لم تعد كغرفة باردة بل أصبحت " غرفة موازنة الضغط" حين توجد المراحيض وحوض غسيل القماش.

– **الغرفة الساخنة:** هي غرفة كبيرة وواسعة بها غرفة مجاورة مثل " الخلواس" بها عدة مقاعد وحوض دائري مملوء بالماء الساخن، بينما يوجد الماء البارد في حوض أخر يأتي من "الجابية" أو " الجيب" وفي منتصف هذه القاعدة تو جرة " السور" أو " السرة" مصنوعة من الرخام للتدليك، يوجد فيها أعمدة ذات تيجان تقسم الغرفة إلى ممرات وأروقة، أما سقفها فهو عبارة عن أسطواني[2].

8– حمام بن نعمان: تقع بالقرب من حمام بليجاوي والجامع الكبير يتكون من جزأين مهمين: غرفة تغيير الملابس والحمام نفسه، يتم الدخول إلى الحمام عن طريق سقيفة مستطيلة مغطاة بالسيراميك، بها نافذة صغيرة للإثارة والتهوية وفتحة ثانية على المرحاض.

– **غرفة الاستراحة:** تستعمل في خلع الملابس والراحة، كما تحتوي على غرفة استراحة أخرى مجاورة يقع بابها بجوار الدرج المؤدي إلى الميزانين مباشرة، ترتفع أرضية الميزانين بخمسة أعمدة ذات قاعدة وعمود، بالإضافة إلى خمس غرف نوم منفصلة ربما تستخدم كسكن للقائم بالتسيير والمدلك[3].

1– Nedjoua meheni, Ibid, p 210.

2 – Ibid, p 211.

3 – Ibid, p 215–216.

- **الحمام نفسه:** يتكون من غرفتين أساسيتين هما:

- **الغرفة الباردة:** وهي عبارة عن غرفة وسيطة بها دورتان وخزان مياه بارد ونافذة تفصلها عن السقيفة.

- **الغرفة الساخنة**[1].

9- **حمام سيدي راشد:** يسمى بالحمام القديم لقاع السويقة والمسمى أيضا باسم جسر سيدي راشد الذي يمر أعلاه، وأيضا يسمى حمام رأس القنطرة أي حمام نهاية الجسر.

يتكون من جزأين رئيسين تواليت وجزء للحمام.

- **غرفة الاستراحة:** مستطيلة الشكل ذات جزء غائر من نوع " خلواس" ولها منصات منخفضة، ويوجد في منتصف الغرفة عمود يدعم الميزانين يشمل كامل سطح غرفة النوم وهذه الغرفة لا تحتوي على قبة ولا على قبو.

- **الحمام نفسه:** على عكس الحمامات الأخرى يحتوي هذا الحمام على خزان مياه في الشرفة.

- **الشرفة:** عبارة عن غرفة بسيطة ومتواضعة تضم عدة غرف في الغالب لمن يعلمون في الحمام يتم الوصول إلى هذه الغرفة عن طريق الحمام نفسه أو من خلال الباب الثاني من الخارج، كما يوجد مكان إقامة في المستوى المتوسط للشرفة يتكون من غرفتين وتمويل واحدة من هذه الغرفتين على فتحة للوصول إلى خزان المياه البارد[2] El-Djabia أما الفرقان فيقع في الطابق السفلي.

10- حمام سوق العصر[3]: تحول هذا الحمام إلى بازار في عام 2010 بعد فترة طويلة مغلق بسبب حالته المتدهورة.

---

1 - Ibid.p 216.

2 - ibid. p.p 218-219.

3- أنظر ملحق رقم 10 لصورة توضح حمام سوق العصر، نقلا عن: Nedjoua meheni.

لا تعطي هندسته المعمارية الخارجية أي مرجع معماري مطابق إلى مبنى حراري يقع أسفل منزل في شارع " الإخوة منتوري" نحو سوق العصر الذي يحمل اسمه بوضوح وكذلك باتجاه مسجد الكتاني.

11- حمام بن ناصف[1]: إنه حمام المدينة الذي اختفى منذ وقت ليس ببعيد وتحول الآن إلى بازار وهو موجود في شارع " رواج سعيد" أسفل " رحبة الصوف" ليس ببعيد عن مسجد سيدي ميمون ومسجد سيدي لخضر.

12- حمام بوليزايم: يقع في شارع الشيخ عبد الحميد بن باديس بجوار شارع " الكيس لاصيرت" وهو ليس بعيد عن " المدرسة" وبالقرب من مسجد " الأربعين الشريف" استأجر صاحب الحمام لاستخدام التجاري هذا الأخير تحول من المستأجر الجديد إلى مستودع.

ينقسم هذا الحمام إلى قسمين: غرفة تغيير الملابس والغرفة الساخنة مع جزأين: " سقيفة"[2] و " ساس"[3].

- **غرفة المعاطف: الاستراحة:** عبارة عن غرفة مستطيلة طولها سنتيمتر واحد بها منصة وثلاث ركائز صغيرة عند المدخل على اليمين يوجد عداد ومنطقة صغيرة محجوزة إلى راعية الحمام.

- **الغرفة الساخنة:** هذه هي المساحة الأكثر تزيينا بأعمدة رخامية في حالة جيدة[4] تيجان جميلة مائلة، هذه الأعمدة تحيط بطاولة التدليك "SOA "، الغرفة مستطيلة الشكل بها حوض ماء ساخن نصفه دائرة وبجوار خزان الماء البارد " الجب".

1- أنظر ملحق رقم 11 لصورة توضح حمام بن ناصف، نقلا عن: Nedjoua meheni.

2- سقيفة: وهي مدخل الحمام بشكل مربع مغطى الجدران بسيراميك.

3- ساس: SAS: دهليز صغير يدخل للغرفة الدافئة.

4 - Ibid.p 200.201.

13- حمام المدرسة[1]: يقع الحمام بالقرب من " المدرسة" يقع في شارع عبد الحميد بن باديس اسمه مأخوذ من المدرسة الأساسية خلف الحمام مباشرة[2].

14- حمام البطحة: استحوذت على هذا الحمام عائلة من أصل شاوي في الثلاثينات من القرن الماضي، حيث يعتبر مكان التقاء وحشد أفراد المجتمع[3]، وتم إغلاقه منذ زمن طويل وذلك بسبب الخلاف بين أصحاب هذا العقار أو الورثة[4].

15- حمام رحبة الجمال[5]: ليس بعيد على حمام بن شريف فهو يقع على مرمى حجر منه يسمى أيضا بحمام " حاج حسين"، " حمام مبروك" لنسبة إلى ملاكه في ذلك الوقت[6].

16- حمام بلحاج مصطفى: يقع هذا الحمام على نفس محور حمام " ثلاثة" بالقرب من الزاوية التيجانية السفلية، والحمام مغلق منذ عدة سنوات وليس لدينا أي معلومات عن عمارة الحمام من الداخل ويشير اسم هذا الحمام إلى حمام معاصر خارج المدينة يقع في منطقة أوروبية في " بلفيو" ومن الممكن هناك علاقة محتملة بين الاثنين[7].

ومن الحمامات التي جاء ذكرها ولا نملك أي معلومات عنها منها، حمام ابن السلطان[8]، وهو نفسه حمام صالح باي وأيضا حمام قاع العطارين، وحمام أبي بعاية وأيضا حمام الصغير، كل هذه الحمامات تم ذكرها لكن لم يتم التطرق إلى سنة تأسيسها أو أي معلومات تاريخية عنها[9].

1- أنظر ملحق رقم 12 لصورة توضح حمام المدرسة نقلا عن: Nedjoua meheni.

2 - Ibid.p 204.

3 - Faura samir- samira Benzagouta. Ibid.p 63.

4 - Ibid.p 211.

5- أنظر ملحق رقم 13 لصورة توضح حمام رحبة الجمال نقلا عن: Nedjoua meheni.

6 - Ibid.p 221-222.

7 - Ibid.p 208.

8- فاطمة الزهراء قشبي، معالم قسنطينة وأعلامها، إنسانيات، عددان 19-20 جانفي - جوان، 2003، ص 16.

9- Mercion.c. Constantine awaut la conquet.p32.

المطلب الثالث: الكادر الوظيفي العامل في الحمامات

تناوبت مجموعة من العاملين لتسيير شؤون الحمام من حيث تنظيم العمل بينها وتوفير احتياجات الزبائن الداخلية إليها مثل: توفير المناشف وتوفير مواد التنظيف كالصابون مثلا.

1- صاحب الحمام أو الحمامي: وهي مديرة المشرف على مرافقة كافة والعاملين به، يتولى إدارة وتدبير أمور الحمام فهو المسؤول الكبير يقوم باستقبال الزبائن واستخلاص ثمن الاستحمام والسهر على راحتهم وسماعهم وتوفير كل ما يحتاجونه[1].

2- الناطور: أو الوقاف وكان يسهر على حفظ أثواب الناس وعلى استبدال المئازر المستعملة بأخرى نظيفة وأدوات الاستحمام الأخرى، كما كان أحيانا مكلفا بنظافة الغرف حتى تبقى نظيفة لا تشوبها شائبة، وهو أيضا الحارس وموظف الاستقبال في زماننا هذا وعنده ودع الأمانات والملابس والحاجات[2].

3- المدلك: هو الشخص الذي يقوم بدلك جسم المستحم وقد كان هذا من بين النشاطات ومورد رزق لصاحبه.

4- الطياب: وهو المسؤول عن تعبئة الماء ومساعدتهم على الغسل والتطيب ولكن هذا الاسم يطلق اليوم على من يقوم بتنظيف جسم الزبون من الأوساخ[3].

1- الهادي الشتوي المقطوف، المرجع السابق، ص 432.

2- صبح الأعشى في صناعة الإنشاء القلقشدي، ج2، ص 429.

3- عبد الرحمان ابن الجوزي، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ج8، ص 82.

المبحث الثاني: الجانب المعماري للحمامات

المطلب الأول: المواد المستعملة في الزخرفة: استفاد العثمانيون من المواد التي كانت مبعثرة بضرائب المدن و استغلوها في إنشاءتهم المعمارية، وأهم المواد المستعملة في الزخرفة: الرخام والشيست والحجر والجص والفخار والآجر والزيدج والحديد والزجاج.

1- الرخام: لقد استعمل الرخام في أطر الأبواب مثل حمام سيدنا وحمام قصر مصطفى باسا وحمام سيدي بوقدور واستعمل في تزينن قاعات الاستراحة بالأعمدة، نجد الأعمدة في الحمامات العمومية استعملوا الرخام أيضا في تزيين قاعات الاستراحة بنافورات تلطف الجو أو صنع الأحواض وتبليط الأرضيات مثل حمام قصر البايات، كما تستعمل الرخام في السلالم والدرجات القليلة التي غالبا ما نجدها بالمدخل أو قاعة الاستراحة.

2- الشيست: لقد استعمل الشيست ي نفس استعمال الرخام أي في تبليط الأرضيات والسلالم إلا أن الشيست سهل العطب وهذا ما جعل معظم القطع تتآكل، وقد استعمل في تغطية القاعات الحارة واستعمل أيضا كواقي للجدار عند الحنفيات أو الأحواض واستعمل كعازل للرطوبة وفي فتحات صرف المياه أو في قواعد المراحيض مثل ما نجده بالحمامات الخمسة بقصبة الجزائر[1].

3- الحجر: استعمل الحجر في الأعمدة والأحواض والعيون وأطر الأبواب، كما استعمل في تدعيم المواسير والقنوات وأطر المواقد الأمامية بكونه مقاوم للمياه والرطوبة[2].

إن أهم أنواع الحجر المستعملة هي الحجر الكلسي لسهولة تشكيلة ونحته، أما الحجارة النارية فإن استعمالها قليل لتماسك جزئياته وصعوبة نحته.

4- الفخار: استعملت أنواع من الفخار في فتحات الإضاءة مثل القرميد والقطع الأسطوانية.

1- سليمة عربية موساوي، الحمامات الجزائرية من العصر الإسلامي إلى نهاية العهد العثماني دراسة آثارية معمارية، رسالة ماجستير في علم الآثار، معهد الآثار، 1990-1991م، ص 195.

2- مريم عمارة، حمام سليمان بتلمسان، دراسة معمارية، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم علم الآثار، مذكرة لنيل شهادة ماستر في علم الآثار، تخصص الآثار المغرب الإسلامي، 2017-2018، ص 54.

5- الآجر: استعملت في تزيين الشرفات وخاصة عند المداخن وفي نهاية الطوابق مثل حمام قصر البايات، كما أنه يتصف بالمرونة والمقاومة والعزل[1].

6- النحاس: استعمل في تشكيل الحنفيات والمزالج والمفاتيح.

7- الجص: استعمل في زخرفة السقوف والشرفات والحنايا وقواعد القباب وهذه التشكيلات في معظمها تكون بالقاعات الباردة لقلة الرطوبة بها.

8- الزليج: تحتوي الحمامات في معظمها على تبليط من الزليج أو تكسية الجدران، إن استعمال الزليج من سمات الفن الحديث في الجزائر فقد جلبت مجموعة هامة من الزليج من عدة دول إسلامية وأوروبية.

9- الحديد: استعمل الحديد في زخرفة الأبواب والنوافذ وفي أدوات إخراج الرماد من الأفران.

10- الزجاج: تغطي التشكيلات الجصية في زخارفها بقطع من الزجاج الملون وهذه القطع تضفى على الشكل وعلى القطعة جمالها وتبعث الانشراح في نفس المستحم[2].

المطلب الثاني: العناصر الزخرفية: إن أهم العناصر الزخرفية التي طبعت الحمامات التي تعود إلى الفترة العثمانية خاصة في العناصر الزخرفية النباتية والعناصر الزخرفية الهندسية والعناصر الزخرفية المعمارية الرمزية.

1- العناصر الزخرفية النباتية: إن التعصب الديني والتشدد في تطبيق الدين من طرف العثمانيين جعلهم يستعيضون عن الزخارف الإنسانية والحيوانية بزخارف نباتية معوزة تأثرا بالحضارة الإسلامية، حيث صاروا يقيمون معارض للأزهار ومن الأزهار التي نجدها في الزخرفة بالحمامات الجزائرية زهرة القرنفل وقد نجدها خاصة في قاعة نزع الشباب والقاعة المتوسطة الحرارة، بالإضافة إلى الأزهار المرفقة بأغصان وأوراق هي في الغالب أزهار حمضيات نظرا لكثرة استعمالها في حدائق المدن.

1- سلامة التوفيق، فرج الله أسامة، دراسة وصفية معمارية لمعلم ساحة لبراش بقسنطينة، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية، قسم التاريخ والآثار، جامعة منتوري قسنطينة، 2009-2010م، ص 97.

2- سليمة عربية....، المرجع السابق، ص 201.

2- العناصر الزخرفية الهندسية: لقد استعملت عناصر زخرفية هندسية في تبليط أرضيات الأروقة وقاعات الاستحمام وفي فتحات الإضاءة والإثارة، ومن أهم هذه العناصر النجم السداسي والنجم الخماسي الذي استعمل فيه بلاطات مزججة.

3- العناصر الزخرفية المعمارية: تحدثنا عن المواد المستعملة في الزخرفة وبينا أهمها، وهذه المواد استعملت بطريقة زخرفية رائعة منها:

- **الأعمدة والتيجان:** من أهم الأعمدة التي استعملت في زخرفة الحمامات الأعمدة الأسطوانية والأعمدة الحلزونية وأعمدة نصفها مضلع والنصف الآخر حلزوني[1].

أما التيجان ففي معظمها زخارف نباتية نبتة زهرة إلا كانت أو الخرشوف أبرى.

- **القباب:** من أهم العناصر الزخرفية المعمارية القباب التي لا يخلو حمام منها، وبهذه القبات نجد فتحات الإنارة والنوافذ المزججة ومعظم القباب لها شكل ثماني تحيط بها شرفات في زوايا القاعدة الرباعية وخاصة بالنسبة لقباب الأبواب والقاعات الحارة أو قاعات الاغتسال.

4- العناصر الزخرفية الرمزية: استعمل الهلال الذي هو شعار العالم الإسلامي في زخرفة فقرات أطر الأبواب ويتناوب الهلال مع الأزهار أو مع السحب التي هي من التأثيرات الصينية في الفن التركي العثماني.

ذكرنا أن الأزهار والهلال والأشكال الطبيعية موجودة بحمامات الجزائر ورغم أن هذه قد شملت جميع العمائر فإننا نجدها قد استعملت في حمامات القرن الثامن عشر والتاسع عشر على أوسع النطاق[2].

1- نفسه، ص 205.

2- نفسه، ص ص 206-208.

المطلب الثالث: مقارنة حمامات قسنطينة بحمامات الجزائر (حمام قصر الداي وحمام سوق الغزل نموذجا)

تمتاز حمامات العهد العثماني على غيرها بعدة مميزات معمارية وفنية مما أعطت لها تسمية جديدة من طرف الأجانب، فصارت تعرف باسم حمامات المور أو الحمامات التركية ولكي نعطي فكرة عن الحمامات العثمانية في الجزائر فغن ما توفر عندنا من المراجع هو وصف لبعض حمامات العاصمة فيقول وليم سبستر: " لقد بنيت حمامات واسعة من طرف حسن باشا ومحمد بن صالح رايس قائد البحرية الجزائرية الكبير وجهزت بالماء الساخن والبارد، وكانت تضاهي أحسن الحمامات في القسطنطينية"[1]، ومن خلال هذا الوصف يتضح أن حمامات الجزائر في فترة العثمانية أصبحت على نسق حمامات العاصمة العثمانية في تركيا، وبالتالي فإن النمط العمراني قد انتقل إلى الجزائر ومما يدل على أن الحمامات في هذه الفترة قد كثرت حيث يقول وليام سبستر نقلا عن نيكولاي في وصف الجزائر: " توجد من وراء البلاط الملكي بيوت رائعة تعود ملكيتها للخواص من الرجال وإلى جانبها عدد كبير من الحمامات ونقل هايدو أنها بلغت الستين حماما"[2].

كما يقول كاثكارت أن حمام قصر الداي يشتبه الحمامات الموجودة بالمدينة إلا أنه أصغر حجما منها، والحمامات التركية مبنية على طراز واحد فنجد أولا غرفة صغيرة مؤنثة مخصصة لنزع الملابس ثم غرفة أخرى دافئة يجلس فيها المستحم حتى ينصب غرقا ومنها يدخل إلى الغرفة الساخنة أين ينظف جيدا ويدلك ثم يعود أدراجه إلى الغرفة الدافئة ثم إلى القاعة الأولى وحمام الداي مفروش بالرمز ومزين بالآخر المستوردة من جنوة وتعلوه قبة فيها نوافذ صغيرة وثقوب تسمح بتسرب ضوء النصار والهواء ويضيف قائلا: بأن جميع الحمامات

1- وليام سبستر، المصدر السابق، ص ص 44-45.

2- Diego de HAEPO, Topographie et histoire générale d'Alger , Traduit de l'espagnol par monnerau et abrbrugge , présentation de Jocelyne dokh lia : édition Bouchene, 1998, p 225.

في هذه الإيالة الحمامات في هذه الإيالة بل وفي جميع بلاد المغرب بنيت على أساس نفس القواعد والمبادئ وهي كلها مزخرفة بدرجات متفاوتة[1].

فمن خلال وصفنا للحمامات العثمانية في الجزائر أخذنا نموذج مقارنة حمام سوق الغزل وحمام الداي في الفترة العثمانية حيث اتضح لنا أوجه تشابه وأوجه اختلاف بينهما فهدا حمام الداي الموجود بالقصبة ينقسم إلى ثلاثة أقسام وهي الحمام القديم والحمام الجديد والمرحاضين الشرقي والأوسط بينهما حمام سوق الغزل يحتوي على ثلاثة غرف (الغرفة الباردة، الغرفة الدافئة، الغرفة الساخنة)، الغرفة الدافئة التي يفتقرها حمام الداي كون الحمام الجديد يحتوي على أربع قاعات حارة فالقاعتين الأماميتين هما قاعتين دافئتين لكن وجود الأروقة تحتها ووجود أحواض للمياه وفتحات ضبط الحرارة والبخار جعلت منها قاعات حارة وبهذا افتقر الحمام إلى القاعة الدافئة[2].

كما أن حمام سوق الغزل مداخله غير مباشرة بحيث أننا ندخل إلى السقيفة والتي نجد بها مصطبات للجلوس والانتظار بينما حمام الداي قاعاته متصلة ببعضها لا تحتوي على سقيفة وإنما يربط بينهما ممر.

وبالنسبة للتسقيف نجد بحمام سوق الغزل الغرفة الباردة سقفها يظهر أنه من الجص والغرفة الدافئة سقفها عبارة عن قبو أسطواني يمتد على طول الغرفة، أما الغرفة الساخنة فقد غطي سقفهما بقبو نصف أسطواني به فتحات للإضاءة والتهوية[3]، أما حمام الداي فقاعاته مسقوفة بقطع من الرخام ومكسوة بمربعات الزليج، أما بالنسبة للأرضية فقد بلطت كلاهما بالرخام والخشب.

1- جمس ليذر كاثكارت، مذكرات أسير الداي كاثكارت قنصل أمريكا في المغرب، ترجمها عن الإنجليزية وعلق عليها وقدم لها إسماعيل العربي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1982م، ص ص 93-94.

2- عربية سليمة موساوي، المرجع السابق، ص ص 171-179.

3- محمد بن حمو، المرجع السابق، ص ص 300-302.

أما بالنسبة للفرن أو الفرناق لكل حمام طريقته الخاصة ففي حمام الداي يقع بنهاية الحمام وتعلو فتحة المدخنة لصرف الدخان العائد من الفتحة الشمالية مع ملاحظة أن مداخن القاعة الحارة التي تتحكم في درجة حرارة القاعة تكون مدمجة بين الجدران، فالنار هذا مصدرها الحطب لها دوران، الدور الأول هو تسخين الماء المستعمل في الاستحمام والدور الثاني تدفئة القاعة الحارة، أما عن حمام سوق الغزل فيقع فرنه أو فرناقه خلف الحمام، ومدخلها حديث والمدخل الأصلي هو عبارة عن فتحة في جدار الفرن كان ينزل منه بسلم حديدي مدمج في الجدار ومنه تلقى الأخشاب في الفرن أما مكان إشعال النار يوجد داخل غرفة الفرن.

وفيما يخص طريقة بناء الخزانات في حمام الداي كان الخزان الماء البارد مغطى بقطع من النحاس مازالت آثارها موجودة في نهاية المكعب الذي يتكون منه الخزان[1]، بينما في حمام سوق الغزل يوجد صهريج يمد الحمام بالماء ومنه ما يصرف إلى القدر للتسخين ومنه ما يسيل مباشرة في الأحواض الداخلية الموجودة في الغرفتين (الدافئة والساخنة)، فهذه الأحواض في كلتا الحمامين مصنوعة من الرخام الذي يجمع الماء الحار والماء البارد إلا أنها تختلف في الحجم فقد ذكر روزي " بأنها لا تسع القدمين" أي صغيرة فهذا يدل على الكاتب لم يكن على دراية بنظام وطريقة الاستحمام عند المسلمين التي تستوجب جريان الماء باستمرار حتى يكون صالحا للطهارة من جهة وخلو الحمامات الإسلامية في الجزائر خاصة من المسابح أي أنها وجدت لأغراض دينية.

أما عن أوقات الاستحمام حمام سوق الغزل لديه فترات محددة حيث الفترة الصباحية مخصصة للنساء والفترة المسائية للرجال بينما في حمام الداي مفتوح في كل ساعات الليل والنهار لأن الحمام يبقى دائما ساخنا.

1- عربية سليمة، المرجع السابق، ص 179.

ومن خلال هذه المقارنة بين حمام سوق الغزل وحمام قصر الداي يتضح لنا بأن كل العناصر المعمارية الموجودة في الحمامات العثمانية أثرت بشكل مباشر على العمارة الجزائرية ولعل أهم ما يميز هذه الحمامات.

- استعمال البلاطات الخزفية المتنوعة في جميع الغرف من الآجر، الرخام، الشيست، الزجاج، النحاس، الحديد، الزليج.

من خلال ما درسناه في هذا الفصل يمكننا أن نقول:

– تعتبر الحمامات من أهم وأبرز المرافق الحضارية في المدن للمجتمعات الإسلامية فقد اعتبرت عملية الاستحمام عندهم عادة مرتبطة بالدين الإسلامي.

– يرجع أصل الحمامات إلى الإرث الحضاري البشري التي توارثته وتناقلته الحضارات السابقة حتى أصبح ذات طابع خاص ومميز في العهد العثماني.

– اهتم العثمانيون ببناء وتشييد الحمامات بنوعيها الخاص والعام وخاصة الحمامات العامة فقد انتشر النوع بكثرة في مدينة قسنطينة.

– من أهم الحمامات العثمانية في مدينة قسنطينة نذكر حمام ثلاثة الذي يعتبر أقدم حمام في المدينة، حمام دقوج، حمام سوق الغزل، حمام بلبجاوي ومن بين هذه الحمامات ما يزال يعمل إلى يومنا هذا، ومن بين هذه الحمامات ما خصص للرجال فقط مثل حمام بلبجاوي وحمامات خصصت للنساء فقط وأخرى تناوب عليها النساء والرجال ضمن أوقات محددة.

– تميزت هذه الحمامات بالطابع الهندسي المعماري الجميل مزينة بالنقوش والزخارف والرخام....

– من أهم المميزات والخصائص المشتركة بين حمامات مدينة قسنطينة والجزائر العاصمة هي الغرف الثلاثة وقسم الملحقات من فرن ومخزن وصهريج...اختلفت في هندستها وتزيينها وزخرفتها.

الفصل الثالث: دور الحمامات العثمانية في مدينة قسنطينة

المبحث الأول: الدور الاجتماعي للحمام.

المطلب الأول: الحمام كفضاء اجتماعي.

المطلب الثاني: دور الحمام في الطقوس الاجتماعية.

المبحث الثاني: الدور الصحي للحمام.

المطلب الأول: الحمام مكان للنظافة والاسترخاء.

المطلب الثاني: الوقاية وعلاج الأمراض.

لقد عرفت جل المدن الإسلامية " الحمامات" باعتبارها مرفق ضروري في الحياة الاجتماعية ارتادها الناس من أجل الطهارة والنظافة، وقد أولى العثمانيون الكثير من الجهد في بناء الحمامات نظرا لما تتمتع به من أهمية في ثقافة الشعوب المسلمة لارتباطها الوثيق بالدين الإسلامي الذي يجب على النظافة، كما جاء في الحديث الشريف لرسول الله صلى الله عليه وسلم، " النظافة من الإيمان والوسخ من الشيطان"، لذا قاموا بتشييد الحمامات في مختلف الدول التابعة لهم وفي كبريات المدن كقسنطينة والتي تميزت عن غيرها في معمارها وزخرفتها عن حمامات الحضارات السابقة في المدينة، فقد لعبت هذه الأخيرة دور هام في الحياة الاجتماعية وكذلك في العلاج الطبيعي، فمثلت عملية الاستحمام في المجتمع القسنطيني عادة اجتماعية محظة للجنسين سواء رجال أو نساء، لكنها ارتبطت بالنساء أكثر من الرجال باعتبارها مكان للترفيه والبحث عن الجمال وكذلك موروث شعبي وعنصر رئيسي يندرج ضمن تقاليد الزفاف والطهور وغيرها لكل طبقات المجتمع القسنطيني.

المبحث الأول: الدور الاجتماعي للحمام في مدينة قسنطينة

تكاد الأسباب التي تدعو لزيارة الحمام أن تكون متشابهة في معظم المدن الإسلامية لتشابه عادات شعوبها ولارتباطها بواقع اجتماعي متقارب نتيجة احتكامه للمصدر ذاته المرتبط بالشريعة الإسلامية، أضف ذلك انتقال التقاليد والعادات من مجتمع لآخر نظرا لكون معظم هذه الدول كانت جزءا من الأمبراطورية العثمانية أو تحت قيادة حكم واحد خلال فترات متقاربة.

ولا نستطيع أن نغفل الاستحمام التي ورثتها شعوب هذه المنطقة من الحضارات المتعاقبة عليها والتي ساعدت في إقبال الناس على ارتياد الحمام وقبوله في حياتهم اليومية وفي ممارستهم الاجتماعية.

المطلب الأول: الحمام كفضاء اجتماعي:

كانت الحمامات توفر فرص شغل متعددة ومتنوعة تراوحت بين الخدمة والتجارة، فقد شكلت فضاء لتقديم خدمات متنوعة ومتكاملة لم يكن ممكن بدونها ضمان استمرارية نشاط هذا المرفق العمومي، وتشكيل كادر وظيفي للحمام ووفرة مواطن شغل لمجموعة من الناس علاوة على توافر مواطن شغل أخرى احتاج إليها الحمام يقوم بوظيفة على أكمل وجه ممكن[1].

أكد السيد عمر عرعرية أن الحمامات بقسنطينة كانت تكتسي بعدا اجتماعيا مهما، حيث كانت هذه الحمامات ملتقى نساء المدينة ففيه يتم تزويج الفتيات إذ كانت تتم أغلب الخطبات والتقارب والتصاهر بين العائلات في قاعة الجلوس بهذه الأماكن ليضيف أن الحمام لعب دورا هاما في تبادل الآراء بين مختلف شرائح المجتمع وكذا نشر الأخبار التي تهم المجتمع، فكان بمثابة الجريدة والتلفاز في ذلك الوقت، وقال أن الحمام كان له مركز

1- الهادي الشيتوي المقطوف، الحمامات في الحضارة الإسلامية، مجلة كليات التربية، العدد الواحد والعشرون، ابريل 2021، ص 431.

حساس في المدينة كما كان يلعب دورا في إيواء اليتامى والمتشردين وحتى العجزة وكان فرصة للقاء الأحبة والأصدقاء والمهاجرين الذين بمجرد العودة إلى أرض الوطن يقصدون[1] هذه الأماكن يقينا منهم بلقاء معارفهم، كما يوفر الحمام وقتا من الاسترخاء ونسيان ضغوط العمل والانسجام والمتعة في عالم خيالي صريح من خلال الأبخرة التي تغرق المكان في ضباب كثيف وتحتفظ الحمامات العامة بدورها الاجتماعي أيضا، ففيها تناقش المسائل العائلية وتحل وتروى الكتب والقصص وتتعالى الضحكات متناغمة مع صوت الضرب على الظهر أو أيد صرحا.

يضاف إليه عقد العديد من المعاملات التجارية بين التجار الذين يلتقون دوما في الحمامات أو حتى بين الفلاحين الذين يقصدون الحمام بعد يوم شاق في الحصاد ويقومون بعقد صفقات بيع منتوجاتهم الفلاحية.

كما لعب الحمام دورا هاما في امتصاص البطالة حيث كل يشغل الحمام الواحد بين 12 و 15 فردا أغلبهم من " الكياسة" الذين يقومون بذلك وفرك جلد الزبون وتنظيفه من الأوساخ العالقة وبقايا الجلد أو ما يعرف بالخلايا الميتة يضاف إليهم " الوقاف" المسؤول عن المقصى الذي يقدم مشروبات ساخنة سواء قهوة أو شاي أو المشروب الحار[2].

كما يعتبر للرجال الحمامات المكان الأمثل للقاء الأصدقاء أو لتنظيم مأدبة طعام مع غناء ورقص أو تبادل الآراء السياسية أضف إلى ذلك ما كانت تضيفه من انتعاش في أوقات الحر أو بعد الانتهاء من العمل في آخر النهار أو بين ساعات[3] الصلاة، يذهب الرجال مرة أو مرتين في الأسبوع ويمضون فيها نصف ساعة أو ساعة بعد الاستحمام قبل

1- زبير زصاني، الحمامات التقليدية بقسنطينة في طريق الاندثار، جريدة المساء، 15 سبتمبر 2021، (دون صفحات).

2- نفسه، (دون صفحة).

3- رولي رفعت أبو خاطر، الحمامات التقليدية ضمن النسيج العمراني للمدينة الإسلامية، دراسة مقارنة في عدة مدن متوسطية، عدد مزدوج 63-64، جانفي جوان، 2014، ص ص 80-88.

ارتداء الملابس لمغادرة الحمام وحيث يتم تناول القهوة أو الشاي أو الترجيلة في القاعة الرئيسية بعد المدخل.

أما بالنسبة للنساء الأمر مختلف بعض الشيء نظرا لندرة خروج النساء خارج البيت فالنساء الميسورات كن لا يخرجن إلا لزيارة الأقارب والأصدقاء وإلى الحمام فقط، يكون بشكل دوري أو أسبوعي غير أنهم يقضون وقتا أطول في الاستحمام من الرجال وبشكل عام يمكن القول أن كل عتبة في الحياة كانت ترافقها رحلة إلى الحمام كالزواج والولادة وغيرها[1]، ونظرا لكثرة ارتياد النساء للحمام حتى عد الحمام فضاء نسوي خالص[2].

وقد وصف وليام سبستر الحمامات الخاصة بالنساء وإقبالهن عليها إذ أنها تشبه حمامات الرجال إلى حد كبير، غير أن النساء يتلقين خدمات أفضل من الرجال بحيث تقوم بعض الخادمات من النسوة باستعمال البخور والعطور ورش النساء المستحمات بماء الزهر ويبخون عليهن بالمسك والعطور إذ كانت النساء يتناولن المشروبات والفاكهة وحلويات أخرى كحلوة الحلقوم وأصابع العروس، كما تعزف الموسيقى كما التزمن ببعض العادات والتقاليد التي كانت سائدة آنذاك فيتم حجز الحمام لمدة خمسة عشر يوما بغرض تحميم العروس[3].

تستخلص أن الحمام لعب دورا على مستوى المدينة نلخص هذه الأسباب التي تدعو لزيارة الحمام فيما يلي:

- تأدية فروض الوضوء والتخلص من الجنابة قبل الصلاة.
- مكان لعقد الصفقات التجارية.
- خدمة الاغتسال للمسافرين والغرباء عن المدينة.
- الوثوق من إمكانية توفير المياه بشكل دائم.
- زيارة بعض الحمامات التي يعتقد بارتباطها ببعض الأولياء الصالحين.

1- نفسه، ص 88.

2- الهادي بووشمة، الحمام الشعبي بتلمسان، مجلة إنسانيات، العدد 63-64، 2014.

3- وليام سبستر، المصدر السابق، ص 115.

وعلى مستوى الحي فتكون الحمامات:

– مكان ملحق بالمسجد لتأمين الوضوء والطهارة وخاصة قبل صلاة الجمعة.

– نقطة لقاء مركزية في الحي لوجود الفرن والسبيل في أغلب الأحيان بجوار الحمام للاستفادة من الحرارة والنار ومن توفر المياه.

– مكان لاجتماع دوري لأهل الحي وخاصة النساء.

– مكان للتباهي بالمكانة الاجتماعية.

– مكان لتبادل الآراء ولنقل المعلومات والشائعات.

– مكان للاغتسال والنظافة لعدم توفر الإمكانية في المنازل أو الاكتظاظ المسكن.

– مكان الاستحمام وللحصول على المنفعة الطبية خاصة بعد المرض.

– مكان دافئ في الشتاء وتتوفر فيه المياه الساخنة في كل الأوقات[1].

المطلب الثاني: دور الحمام في الطقوس الاجتماعية

1– طقوس العروس: تعتبر زيارة الحمام من طقوس العرس، والأفراح لا تكتمل إلا بدخول الحمام حيث تقوم العروس بتخصيص يوم قبل العرس للذهاب إلى الحمام مع قريباتها وصديقاتها فقبل العرس لابد من دخول الحمام ليشكل بالتالي فأصلا بين الحياة الزوجية وحياة العزوبية فيتدخل هذا اليوم طقوس خاصة[2] كإضاءة الشموع والزغاريد والحلويات.... ومن بين المرافقات اللواتي يصبحن العروس توجد الماشطة وهي امرأة تلازم العروس لخدمتها والاعتناء بها ابتداءا من الأسبوع الذي يلي حفلة العرس، إذ تتكلف بتحميلها بالطرق التقليدية فتضع لها الأقنعة والمرطبات الضرورية حسب طبيعة بشرتها ونوعيتها، وتدلك

1– بن شاعة آمال، تمثلات المرأة لفضاء الحمام الشعبي في الوسط الحضري، حمام الحياة بمونبليزير، مستغانم نموذجا، مذكرة لنيل شهادة الماستر، كلية العلوم الاجتماعية شعبة علم الاجتماع، جامعة عبد الحميد بن باديس، مستغانم، ص ص 70–71.

2– بن زيان خيرة، المرأة والحمام " جون روكس" بمدينة بوحجر نموذجا، مذكرة نيل شهادة الماجيستير، قسم علم الاجتماع، تخصص المعرفة والمجتمع، كلية العلوم الاجتماعية، جامعة وهران، 2008–2009، ص 49.

جسمها وبين الفترة والأخرى تهمس في أذنها بنصائح وتوجيهات تتعلق بالحياة الزوجية كذلك يخصص يوم بعد الزفاف مباشرة لتحميم العروس[1]، فعند ذهابها للحمام تلف جسمها " بالحايك" ولا يظهر سوى عينيها بعد أن تغطي وجهها " العجار" و ذلك حتى تخفي جمالها، وتأتي مع وفد من النساء سواء أقاربها أو أقارب الزوج حاملين معهم المشروبات و الحلويات، فبمجرد وصول العروس إلى الحمام تتعالى الزغاريد، ويتم تخصيص مكان لنجلس فيه، و تشعل الشموع فوق رأسها وهي مناسبة لتستعرض ملابسها فقد اختلف اللباس من مدينة إلى أخرى فالسلوك الثيابي في الحمام يدل على الحالة الاجتماعية و العائلية و المكانة خاصة للمرأة فلباس المرأة المتزوجة حديثا غير لباس المرأة المسنة و لباس الغنية غير لباس الفقيرة و لباس الغرباء غير لباس المتزوجة .

فالعروس تجلب معها أجمل الأدوات و من بين هذه الأدوات أو اللوازم: الفوطة، المرك، التفريشة، الكاسة، السلاكة و المشط و الطاسة و المنشفة و توضع كلها في الوعاء النحاسي الذي يتقن الصناع في زخرفته[2] .

فعند انتهاء الحماميات المرافقات للعروس من الاستحمام، تأتي إحداهن إلى القاعة التي تجلس بها العروس لتبلغ مرافقتها بان وقت إدخال العروس إلي البيت السخون فتقوم الماشطة بنزع ثيابها و زينتها ثم تلف جسها فالفوطة و تلبس القبقاب و تدخل البيت السخون تحت الزغاريد، و بعد ذلك تقوم الماشطة بتدليكها وتحميمها ثم تجفف جسمها بمنشفتين كبيرتين و تضع على رأسها البنيقة (غطاء للرأس من قماش حريري مطروز ينزل طرفاه ليلفها قبل ان يلتفا بدورها حول الرأس) ثم يتم اخذ العروس إلى غرفة الاستراحة و تقوم الحاضرات بتوزيع الحلويات و المشروبات .

1- فضيلة كريم، موجز تاريخ الحمامات، ترجمة حضرية يوسفي، الجزائر، 2007، ص ص 43-44.

2- موساوي عربية سليمة، الحمامات الجزائرية من العصر الإسلامي إلى نهاية العهد العثماني، رسالة ماجيستر، تخصص علم الآثار، جامعة الجزائر، 1990-1991م، ص 219.

2- مكان الخطبة :

ظروف الاستحمام جماعيا كانت تسمح للمرأة أو النساء لاكتشاف جمال الفتيات اللواتي يأتين مع أمهاتهن بغية الاستحمام، فالأم قد تصادف بين الفتيات[1] فتتأمل الأم الفتيات في قوامها و تناسق جسمها و حركتها العفوية و مشيتها حتى إذا صادفت غايتها المنشودة تعرفت عليها و حصلت على عنوان البيت من طرف المشرفة على الحمام او الكياسة.

فرغم ان الظاهرة أصبحت قليلة إلا ان بعض الأمهات يعتبرن أن الحمام أفضل وسيلة لاختيار عرائس لأولادهن كما نذكر سمية نعمان جسوس: "أنه في الماضي كانت أم الخطيب تأخذ معها كنتها المستقبلية لتفحص جسدها عن كتب و تلاحظ محاسنها و عيوبها التي قد تكون مخيفة خصوصا و ان وقتها كان من معايير الحسن لدى المرأة ان تكون ثخينة و كثيرة اللحم و الشحم.

كما ان للفتيات في الحمام فرصة للخطوبة ثم الزواج لان بعض الأمهات يقصدن الحمام بغية البحث عن أنثى تلاءم أبنائهن على مستوى الجسد ثم يقع التعرف في وقت لاحق على الطباع و الأخلاق و السلوك فالفتيات يقمن ببعض التصرفات و السلوكات من اجل جلب انتباه النساء إليهن من اجل خطبتهن و خاصة إذا علمت ان تلك المرأة تريد تزويج ابنها[2] .

3- طقوس المولود الجديد: تقوم النسوة بالتجمع للتحضير بالترحيب بالمولود الجديد فيقمن بإعداد مختلف الحلويات و يذهبن إلى الحمام في موكب و عندما تبدأ مراسم الاستحمام للمولود الجديد تتعالى الزغاريد في الحمام[3].

1- بن زيان خيرة، المرجع السابق، ص 51.

2- نفسه، ص 45.

3- بن زيان خيرة، الطاقوس النسائية والفضاء الاجتماعي (الحمام الشعبي نموذجا)، قسم علم الاجتماع، جامعة مسنغانم، ص 52.

– و هذه العادة مازالت مترسخة لدى النساء و تتكرر دائما إلى دخول مولود جديد أول مرة إلى الحمام فتحضر الأم أو الجدة بعض العجائن (مسمن) في البيت و تحضر معها الحلوى لتقسيمها على المستحمات حسب قدرتها فعند إدخال المولود إلى غرفة الاستحمام تتعالى الزغاريد و تشعل الشموع فهذه الشموع تختلف عن شموع العروس لأنها عادية تباع عند الدكاكين و بعد الانتهاء من طقوس الغسل يدثر بمنشفات جديدة و يلبس ثياب جديدة أيضا لأنه بمثابة يوم عيد لدى المولود ويخرج أيضا بالزغاريد وتبدأ مراسيم توزيع الفواكه والحلوى على الحاضرات بالحمام وهذا الاحتفال يعتبر بمثابة فرح وسرور وترحيب بهذا المولود[1].

4– طقوس فك الحداد:

كما أن الأفراح لا تكتمل إلا بدخول الحمام، فهو كذلك يعتبر نهاية الأحزان والماء الذي يغسل الجسد من الأوساخ إنما هو أيضا يغسله من الأحزان فالمرأة عند فقدانها لشخص عزيز عليها فتكون في فترة الحداد، وقد تطول هذه الفترة فنجد غالبا ما يصرون أحد الأقارب المحزون الذهاب إلى الحمام، فدخول المرأة إلى الحمام معناه أنها فكت الحداد[2].

فعندما تفقد المرأة أحد أقاربها لا تذهب إلى الحمام وتكتفي بالمكوث في البيت لمدة ما يقارب أربعين يوما وهذا كتعبير عن حزنها.

ودخول المرأة للحمام معناه ان حزنها قد انقضى وهو انتقال من فترة الحزن إلى فترة عادية وبعد خروجها تلبس ملابس جديدة وذلك أن نزع الأثواب إنما يدل على نزع الحزن[3]، ومن خلال هذا نستنتج أن للحمام دور هام وأساسي في الحياة الاجتماعية باعتباره مؤسسة لها ضوابطها وتمثلاتها الخاصة.

كما يعتبر الحمام منتدى اجتماعي حيث تلتقي النسوة خلال النهار من أجل أكبر متعة ملموسة، متعة الاغتسال، تبادل الأخبار والنصائح لأنه فضاء خاص بهن لا يخترقه الرجال.

1– نفسه، ص 53.

2– المرجع السابق، المرأة والحمام، ص 54.

3– نفسه، ص 54.

ومن هذا كله نوصل إلى أن الحمام فضاء تطهيري وترفيهي وتجميلي للمرأة في نفس الوقت فهي تجد فيه الكثير من المتعة والاسترخاء فهو فضاء ذو هيمنة أنثوية واكتساب المعرفة المحلية.

المبحث الثاني: الدور الصحي للحمام

نظرا لما لعبته الحمامات في الطهارة والنظافة من الأوساخ والعفونات إلا أن لها دور صحي تمثل في الوقاية والعلاج من بعض الأمراض، فقد كان الأطباء منذ القدم ينصحون مرضاهم بارتياد الحمامات، ومع مرور الوقت أصبحت فوائدها الصحية لا تخفي على أحد خاصة في التخفيف من آلام المفاصل وآلام العضلات وقد تعددت وصفات وطرق العلاج داخل الحمامات من شخص إلى أخر وتباينت فوائدها الصحية والعلاجية.

المطلب الأول: مكان للنظافة والاسترخاء:

لقد اعتبر الحمام منذ القدم من أساسيات الصحة، إذ كان و لا يزال يتوجه إلى الناس كلما أحسوا بالتعب والإرهاق فبفضل حرارة الحمام العالية يتم تنشيط الدورة الدموية والتي بدورها تعمل على تعرق الجسم فالتعرق وظيفة ضرورية للصحة الجيدة[1].

فقد كانت الحمامات في جل المدن الإسلامية وعلى رأسها قسنطينة تعتبر كمنشأة مائية ذات وظيفة صحية ارتبطت بها جوانب مهمة من حياة الإنسان اليومية، من أهمها نظافة الأبدان من الأوساخ والعرق، كما كان يتخذ مكانا[2] .

المطلب الثاني: الوقاية وعلاج الأمراض

تعتبر الحمام لدى المجتمع بجميع أصنافه مكان للمعالجة من عدة أمراض، وكذلك تبادل المعلومات العلاجية المتعلقة بالأمراض الجلدية أو الأمراض الداخلية، وغالبا ما ينصح به الأطباء المرضى من بينها تلك الأمراض التي يسببها البرد فقد اعتبر الحمام حسب

1- الهادي بووشمة، المرجع السابق، ص 2.

2- الهادي أنشتيوي المقطوف، المرجع السابق، ص ص 431-432.

التعبير الشعبي " كالطبيب الأبكم" médecine meute فبفضل الحرارة التي تسبب التعرق قادر على أن يعالج التوعكة خاصة أمراض الروماتيزم.

– فالاستحمام في الحمام ترتبطه العديد من المناسبات فاللام الحامل يعتبر الحمام بالنسبة لها كشرط لتسهيل عملية الولادة، فهو عبارة عن مؤسسة صحية مرتبطة بالعادات والتقاليد لذلك يعرف باسم " العلاج الأبكم" وهو اسم أطلق الأتراك على الحمامات الشعبية كونها تعالج الإنسان كالطبيب لكن دون أن نتكلم[1].

كما جاء أيضا في كتاب " النزهة الزهية في أحكام الحمام الطيبة الشرعية" لعبد الرؤوف المناوي: أن الحمام علاج للبدن من المندين فإن كان البدن حارا عدله و رطبة وإن وجده باردا أدفأه بحرارته وهو يوسع المسام ويستفرغ الفضول ويحلل الرياح ويلين البدن ويحسن اللون، ويبسط الأعضاء المتشنجة، وينضج النزلة والبشرة وينفع حمى يوم وحمى الدق والربع والحمى البلغمية بعد نضجها، ووجع الجنب والصدر وينضج الربو ويسمن المهزول ويهزل السمين، ويرطب البدن اليابس الخشن برطوبته وكل ذلك إذا استعمل بقانونه وبقدر معتبر.

كما قيل بأنه: يفيد إنضاج الأخلاط وجذبها إلى الخارج ويسكن الوجاع ويفش البخارات والرياح، وينضج الزكام والنزلة ويرق الأخلاط ويلين العصب والرطوبات والأوتار، ويحلل القولنج ويسهل عسر البول.

– ويقول المسيحي حسب ما جاء في كتاب " النزهة الزهية...."": بأنه علاج للشقيقة ويسكن الوجع فورا وذلك بأن يدخل المريض إلى الحمام ويكب رأسه على البخار ويستعط بدهن فستق، فإنه يسكن الوجع حالا، ويقول أيضا: أن التعرق في الحمام بمثابة الرياضة في ترقيق الفضول وتحليلها لكنه يضعف الحرارة الغريزية فلا يقويها كالرياضة، وكما لا تستعمل أو تمارس الرياضة على امتلاء البطن ينبغي أن لا يدخل الحمام حاراً لأن داخله يستنشق منه

1– بن زيان خيرة، المرأة والحمام، حمام جون روكس مدينة بوحجر نموذجا، المرجع السابق، ص 77.

مادام فيه، فيرد على القلب هواء حارا لا يصلح للترويج عن القلب فيضره[1] فقط بل كانت وسيلة فعالة للوقاية والاستقطاب من عدة أمراض لاسيما منها الحادة والمزمنة، وانطلاقا من الحديث النبوي الشريف الذي ينص على أن " النظافة من الإيمان يمكننا أن نعرف مدى أهمية الحمامات بالنسبة للمسلمين سواء كانوا رجالا أو نساءا، حيث يمكن القول بأنهم ربطوا اعتباراتهم العمرانية بتوافر المياه وكثرت بذلك المرافق والخدمات المشتركة مثل العيون والحدائق والحمامات، وللحمام في الجزائر أو في مدنها منها قسنطينة أهمية كبيرة ولاسيما في التداوي من كثير من الأمراض والحيلولة دون وقوعها[2] وهذا ما يتحدث عنه" أبو العيد دودو" في كتابه " الجزائر في مؤلفات الرحالين الألمان"، فيذكر لنا طريقة العلاج لدى شاب دخل الحمام فيقول: " دخل شاب إلى الحمام انتفخت لوزتاه عند فكه الأسفل، واستحم ثم اتجه إلى رجل كبير...ومع أنه لم يكن طبيبا فوضع يديه فوق لوزتيه وضغط عليهما بشدة رافعا إياه عن الأرض لمدة طويلة....ثم أعاد الكرة مرة أخرى حتى فقد الشاب وعيه تماما وعندما استيقظ ثم استحم من جديد وغادر الحمام وقد شفي من مرضه تماما"[3].

كما أن الحمامات مفيدة لعلاج بعض الأمراض الأخرى كالبرص والقمل وغيرها من الأمراض الظاهرة والباطنة كما يشرب ماء بعض الحمامات لعلاج بعض الأمراض الباطنية كأمراض الكلى والقولون....كما لا ننسى الزيوت الطبيعية والنباتات الطبية التي تجري المعالجة بها في الحمام بواسطة التدليك[4].

– القضاء على الأوبئة التي تصيب الجلد فيروي المحدث الذي داوم على العمل في الحمامات لأكثر من أربعة عقود أن للحمام فوائد صحية كثيرة والتي حرم منها شباب اليوم

1- عبد الرؤوف المناوي، النزهة الزهية في أحكام الحمام الشرعية الطيبة، تج، تق، عبد الحميد صالح خمدان، الدار المصرية اللبنانية، مصر، (د.ت)، ص ص 65-66.

2– نفسه، ص 66.

3– أبو العيد دودو، الجزائر في مؤلفات الرحالين الألمان (1830–1855م)، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1975م، ص 14.

4– رولي رفعت أبو خاطر، المرجع السابق، ص 88.

وأكد أن للحمام دور كبير في القضاء على بعض الأوبئة والتي تصيب الجلد وعلى رأسها مرض الجرب وقال أنه شهد على زيارة بعض المرضى المرسلين من طرف الأطباء إلى الحمامات، فالماء الساخن والتي قد تصل درجة حرارته إلى 60° أو 70° والذي يكون مشبع بالمعادن وخاصة مادة الكبريت يساهم بشكل كبير في علاج أمراض الجلد والفطريات التي تصيبه، كما يعالج الماء الساخن حسب خبرة السيد عمر عرعرية أمراض الروماتيزم وينصح الأطباء بزيارة الحمام من أجل التخلص من ألم المفاصل خاصة في شهر أوت حيث تكون درجة الحرارة غالية، حيث يضعون أقدامهم في الماء الساخن مع المداومة على هذا المنوال لعدة أيام لتخفيف من التهابات للمفاصل.

فهناك عدة أمراض تم علاجها بماء الحمام لكن هناك أمراض أيضا تمنع صاحبها من الاستحمام منهم الذين لديهم بثور تنزف بالقيح أو الدم، كما قال أن مرضى الربو لا ينصح لهم بالحمام وحتى مرضى الضغط الدموي يجب التعامل معهم بشكل عذر[1]، فقد ساعدت الحمامات في التخفيف من آلام خاصة آلام المفاصل والعظام فقد كان المسلمون بصفة عامة يقصدونها نظرا لما تمنع من وقوع بعض الأمراض الجلدية خاصة كالجرب، الحمامات في الجزائر عامة لم تكن مجرد وسيلة ترويج[2] وهي نافعة أيضا لاحتلال العقل بسبب سوء مزاج وبالتالي تعالج بواسطة الرطوبة، وأيضا يعتبر ماء الحمامات خاصة تلك الطبيعية منها في علاج بعض حالات العقم التي مردهما إلى سوء مزاج يابس، وهي أيضا نافعة لبعض الحميات[3].

1- زبير هاني، المرجع السابق، (دون صفحات).

2- بن الشيخ حكيم، جوانب من الحياة الاجتماعية في الجزائر خلال القرن 19م، المقاهي والحمامات-أ- نموذجا، مجلة قضايا تاريخية، العدد11، ربيع الثاني 1441هـ/ ديسمبر 2019م، ص ص 44-48.

3- محمد بن حمو، خصائص الحمامات العثمانية في الجزائر من خلال نماذج مقارنة بالحمامات المرينية والمرابطية، دورية كان التاريخية، العدد العشرون يونيو 2013، جامعة أبي بكر القايد، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، ص 32.

فقد كانت الأمراض الجلدية وأمراض العظام والمفاصل من أهم الأمراض التي تناقل الناس على شفائها بواسطة الحمامات وكان ذلك منذ القدم فقد أشار القدماء إلى ما توفره هذه الحمامات من نشاط وطاقة لجسم الإنسان، فالحمام النشاط والحيوية في الجسم" ينشأ النشاط عن الحمام والكسل عن الإعياء"[1] أي أن التعب والإجهاد يؤدي إلى تناقض نشاط الجسم، فالحمام يعمل على إعادة بعث النشاط فيه، ونلاحظ أن أكثر المترددين على الحمام هن النساء نظرا لما تقوم به الحمامات في إعادة النظارة والحيوية إليهن[2].

1- القو لنجي صديق، أبجد العلوم، ص 155.

2- أبي العباس أحمد، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ت نزار رضا، دار مكتبة الحياة، ص 517.

من خلال دراستنا للدور الصحي والاجتماعي للحمامات العثمانية في مدينة قسنطينة يمكننا القول بأن:

الحمامات من أهم وأبرز المرافق الحضارية التي اهتم بها المجتمع القسنطيني ويرجع ذلك إلى أهميتها في حياتهم الاجتماعية، فعادة الاستحمام عندهم مرتبطة ومتصلة بالدين الإسلامي الذي يحث على النظافة.

– أسهمت الحمامات العثمانية في مدينة قسنطينة في الحد من انتشار الأمراض والأوبئة وحتى علاجها.

– الحمام فضاء يحمل معارف متعددة ومختلفة و تعرف ببساطتها وتكرارها وتفيد في ذات الوقت إنتاج الدور الاجتماعي للحمام كمؤسسة قائمة بذاتها لها شروطها وقواعدها، وله دور في طقوس الطهارة بالنسبة للمرأة لتسترد طهارتها التي فقدتها نتيجة الوظائف الحيوية للجسم، والتي تجعلها النجاسة نتيجة الجنابة والحيض والنفاس.

خـــــاتمة

خـاتمة:

يتضح مما سبق عرضه أن مدينة قسنطينة تميزت بالعديد من المنشآت المعمارية منها الدينية والتي تمثلت في المساجد والمدارس والزوايا والأضرحة اعتبرت من أهم المعالم في مدينة قسنطينة في الفترة العثمانية، وذلك يعود إلى الاستقرار النسبي الذي شهدته على يد بعض البايات أبرزهم صالح باي الذي ساهم بشكل كبير في تقدم وتحضر المدينة في كل الجوانب فتجلى دور هذه المنشآت في نشر التعليم خاصة بالريف القسنطيني، أين احتلت الزوايا المرتبة الأولى في نشر الدين والتعليم وذلك لغياب المؤسسات الأخرى كالمدارس فغلب على هذه المؤسسات الطابع الديني لكنها نجحت في رفع الجهل وتثقيف المجتمع.

كما احتوت على منشآت مدنية تمثلت في الأسواق التي كانت متمركزة في وسط الأحياء، حيث كان يقصدها التجار من كل مكان وإذا تحدثنا عن شوارع المدينة فنجدها ضيقة ومتعرجة تربط بين مختلف الأحياء والمعالم الأخرى كالقصور والفنادق فكل هذه المنشآت تأثرت بالطراز العثماني والمحلي على حد سواء، واعتبرت الحمامات من أهم المرافق الحضارية بالمدينة والمرتبطة أساسا بالدين الإسلامي لذلك نجدها تتموضع قرب المساجد وانتشرت الحمامات في المدينة بنوعيها العام والخاص لكن الأغلبية كانت حمامات عمومية، و من أبرز الحمامات العثمانية في قسنطينة حمام سوق الغزل، حمام بلبجاوي، حمام بوقفة، سوق العمرة بن ناصف، البطحة، الثلاثة، عويشة، بوليزايم، بن نعمان، بلحاج مصطفى، المدرسة سيدي راشد، رحبة الجمال، دقوج، بن شريف، بن طبال، قاع العطارين وحمام قصر الباي.

ومن خلال الدراسة اتضح دور هذه الحمامات في الحياة الاجتماعية باعتبارها مؤسسة لها ضوابطها الخاصة وتسييرها الخاص، فكانت مجال لتبادل المعارف الأسرية والاجتماعية فمازال مكان الحي يرتادون الحمامات لتبادل الآراء والأخبار كما أن النسوة مازلن يقصدن الحمامات لاختيار العرائس لأبنائهن والقيام بمختلف الطقوس الاجتماعية

المتمثلة في طقوس العروس والمولود الجديد وطقوس الختان وفك الحداد، إلى جانب الدور الصحي الذي يتمثل في الوقاية والعلاج من الأمراض كأمراض العظام والمفاصل وأمراض الجلد.

أما من الناحية المعمارية فقد جمع الحمام الطراز العثماني الذي تعكسه العناصر المعمارية من العقود المنكسرة والمتجاورة والمرتكزة على الأعمدة الرخامية والقبة التي تعلوا فناء القاعة الباردة، والبلاطات الخزفية التي كسبت بها جدران مستطباتها والسقاية الجدارية إضافة إلى الأواني الموجودة بالغرفة الساخنة والتي اعتبرت كميزة في الحمامات العثمانية، وللحفاظ على درجة حرارة هذه الغرفة دعمت الأبواب المصممة بأبواب خارجية للمدخل ببابان يمنعان خروج البخار من القاعة الحارة إلى قاعة الجلوس، فقد اتخذت هذه الحمامات في الغالب شكل المستطيل أو المربع، كما تميزت عناصر بناء هذه الحمامات بالعديد من المواد المستخدمة من حجارة وأجر وزليج لما لها من مزايا في مقاومة الحر والرطوبة وعدم قابليتها للامتصاص الماء عكس الخشب الذي استعيذ به لتسقيف بناءات أخرى بعيدة عن الرطوبة، وفيما يخص العناصر الزخرفية لهذه الحمامات فقد اتخذت عدة أشكال هندسية كالهلال الذي هو شعار العالم الإسلامي واستعمل بكثرة في تزيين أطر أبواب الحمام، والعناصر النباتية من أزهار وأراق.

كما تبين لنا من خلال مقارنة حمامات مدينة قسنطينة بحمامات الجزائر العاصمة (حمام سوق الغزل وحمام قصر الداي) أنها تختلف من حيث الحجم فحمام سوق الغزل يحتوي على ثلاث غرف (دافئة، حارة، باردة) بالإضافة إلى الفرناق والأحواض أما حمام قصر الداي فيحتوي على خمس غرف بالإضافة إلى الفرن والأحواض وخزانات المياه، ويمكن حصر الاختلاف الموجود بين هذه الحمامات في عنصر الحجم والزخرفة المستعملة في كل حمام.

خـــــــاتمة:

وخلاصة القول فالحمام فضاء يحمل معارف متعددة ومختلفة وتعرف ببساطتها وتكرارها وتفيد في ذات الوقت التاج الدور الاجتماعي للحمام كمؤسسة قائمة بذاتها لها شروطها وقواعدها.

الـــــملاحق

الملاحق:

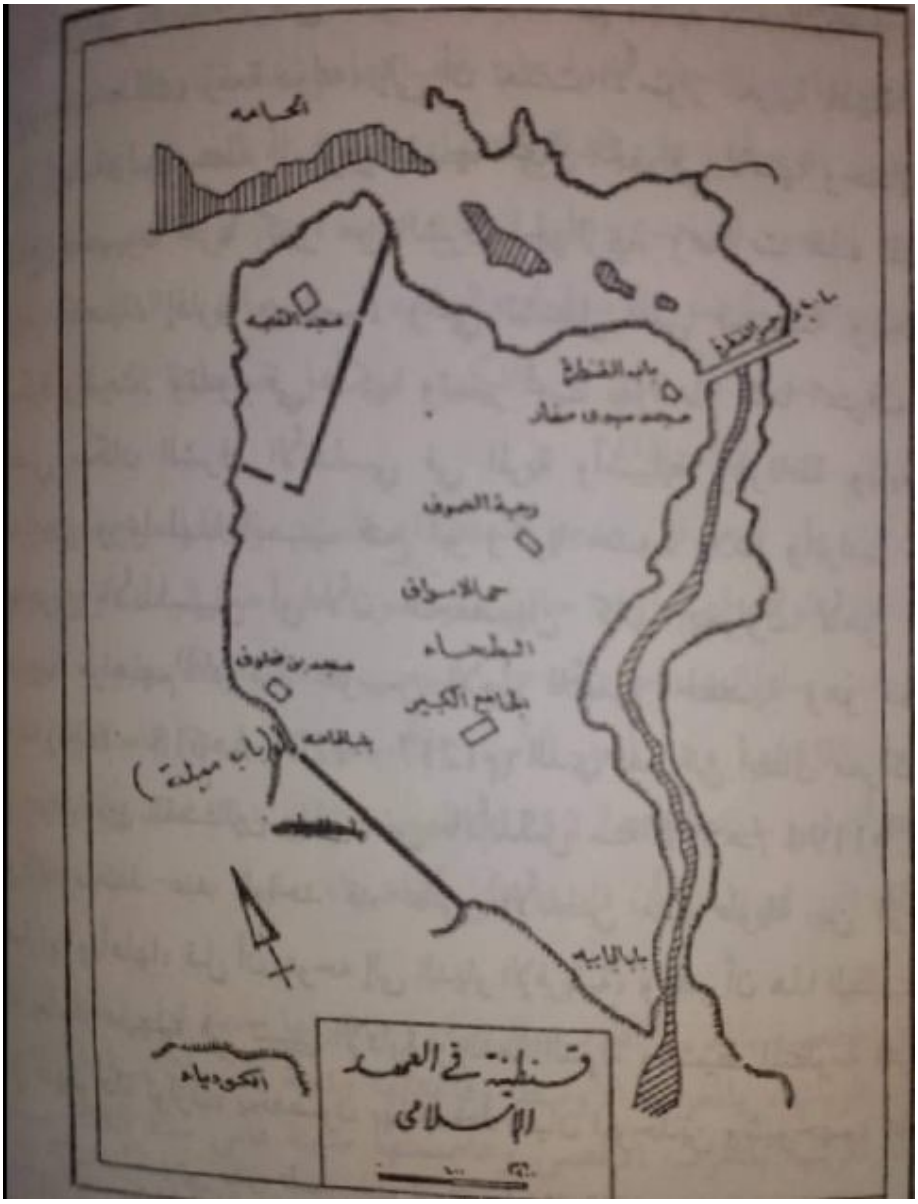

ملحق رقم 1:
قسنطينة في العهد الإسلامي نقلا عن عبد العزيز فيلالي

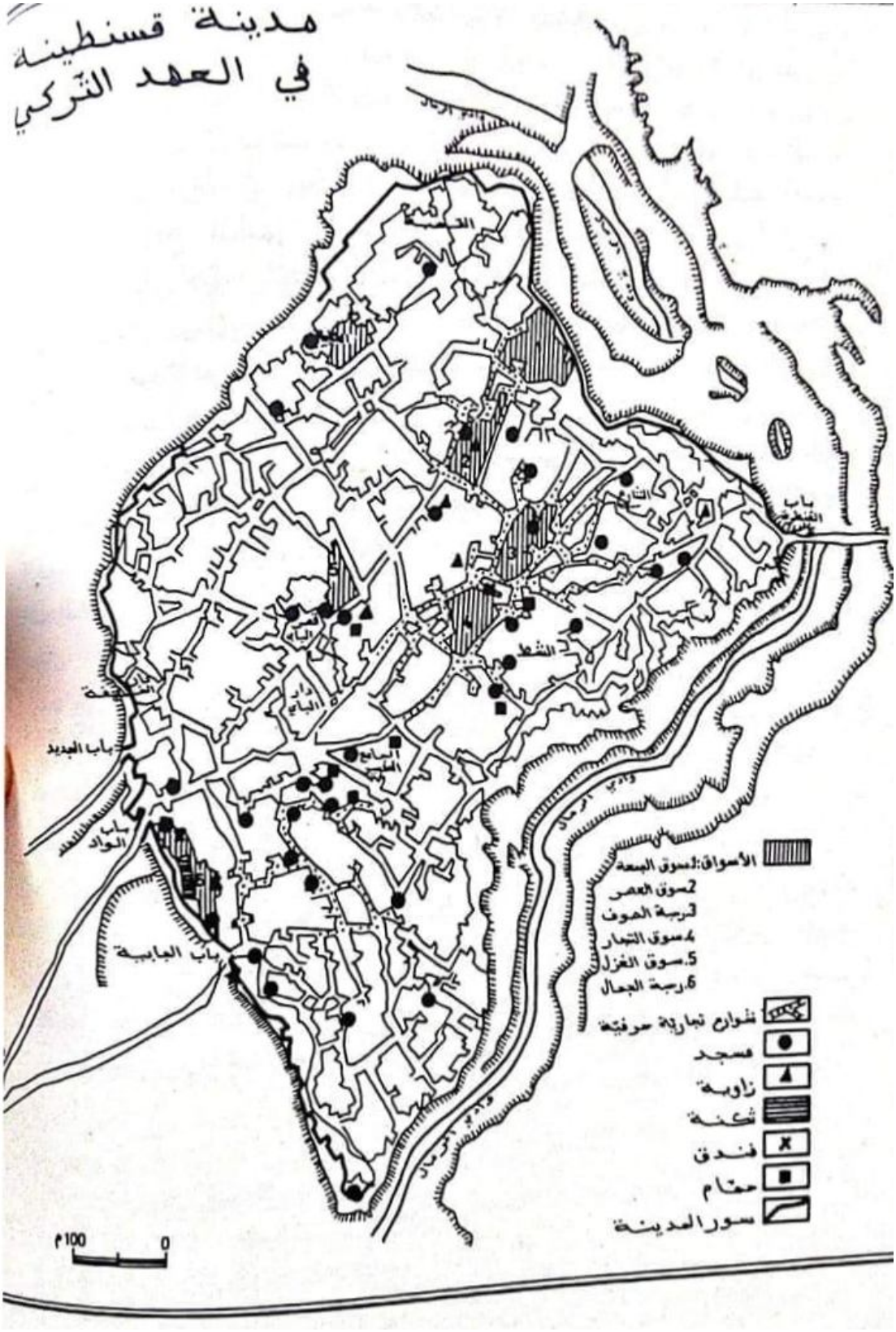

ملحق رقم 2 و 3:

خريطة توضح المعالم الدينية و المدنية في قسنطينة خلال العهد العثماني نقلا عن عبد العزيز فيلالي

ملحق رقم 4:

مدخل الغرفة الدافئة نقلا عن محمد بن حمو

ملحق رقم 5:

عقود وسدة المحرس بحمام بن البجاوي نقلا عن عبد القادر دحدوح

ملحق رقم 6 :

حمام دقوج نقلا عن نجوى مهني

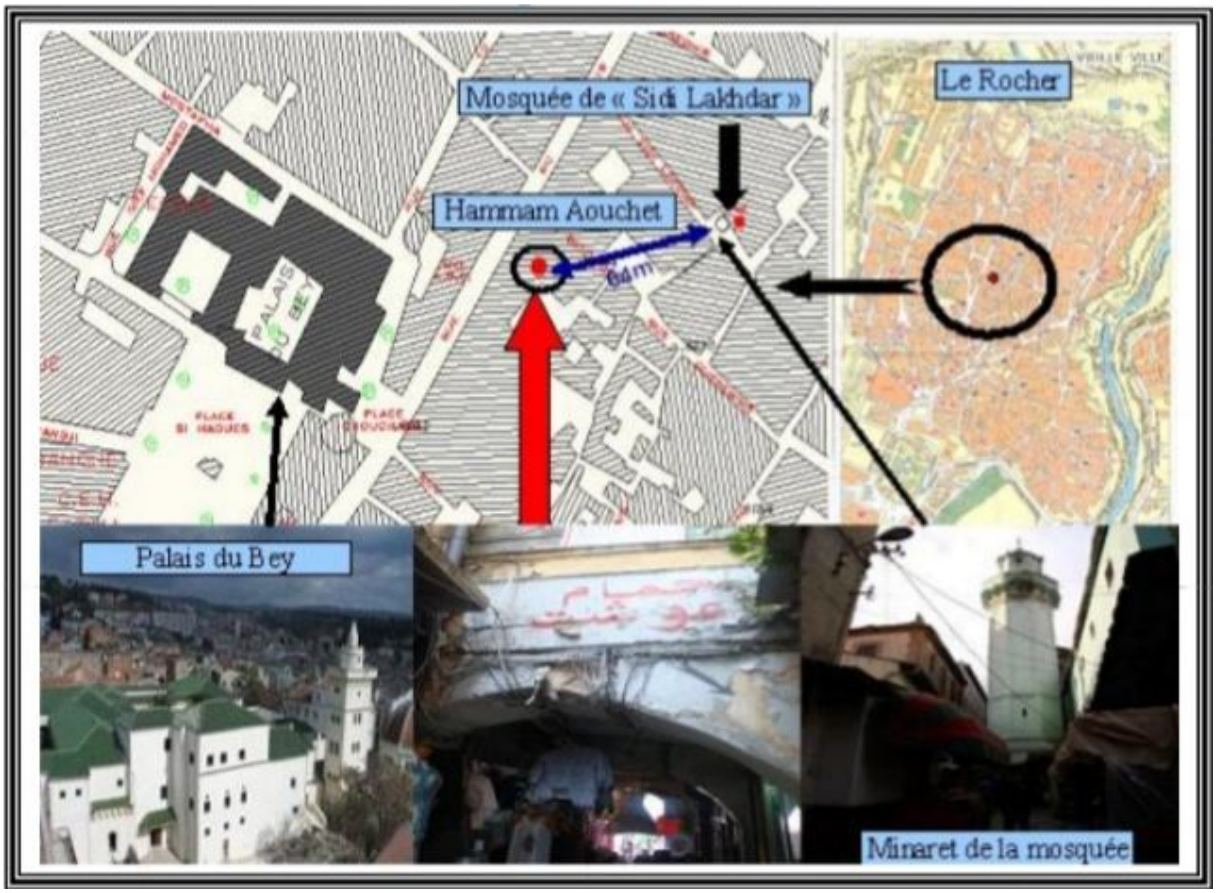

ملحق رقم 7 :

حمام عويشة نقلا عن نجوى مهني

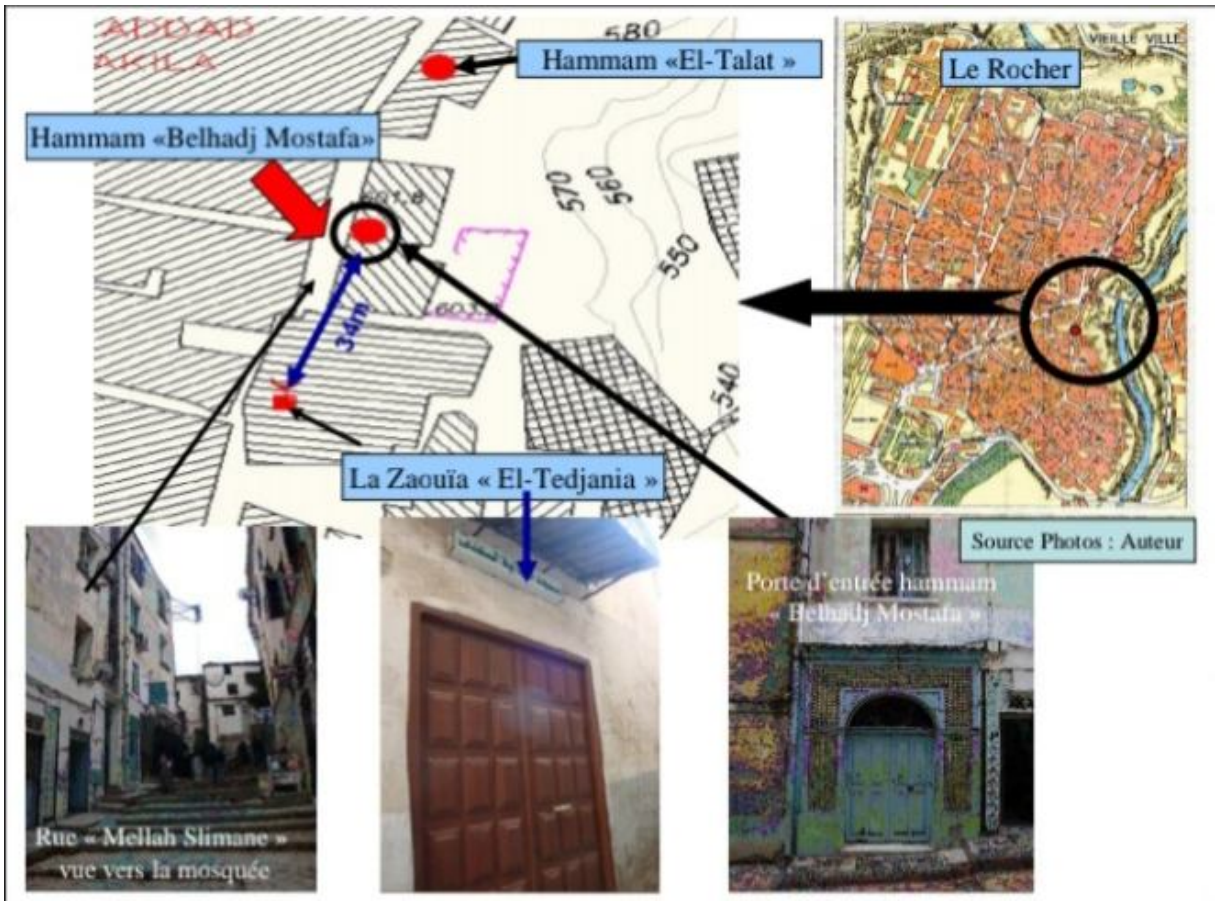

ملحق رقم 8:

حمام الشط (ثلاثة) نقلا عن نجوى مهني

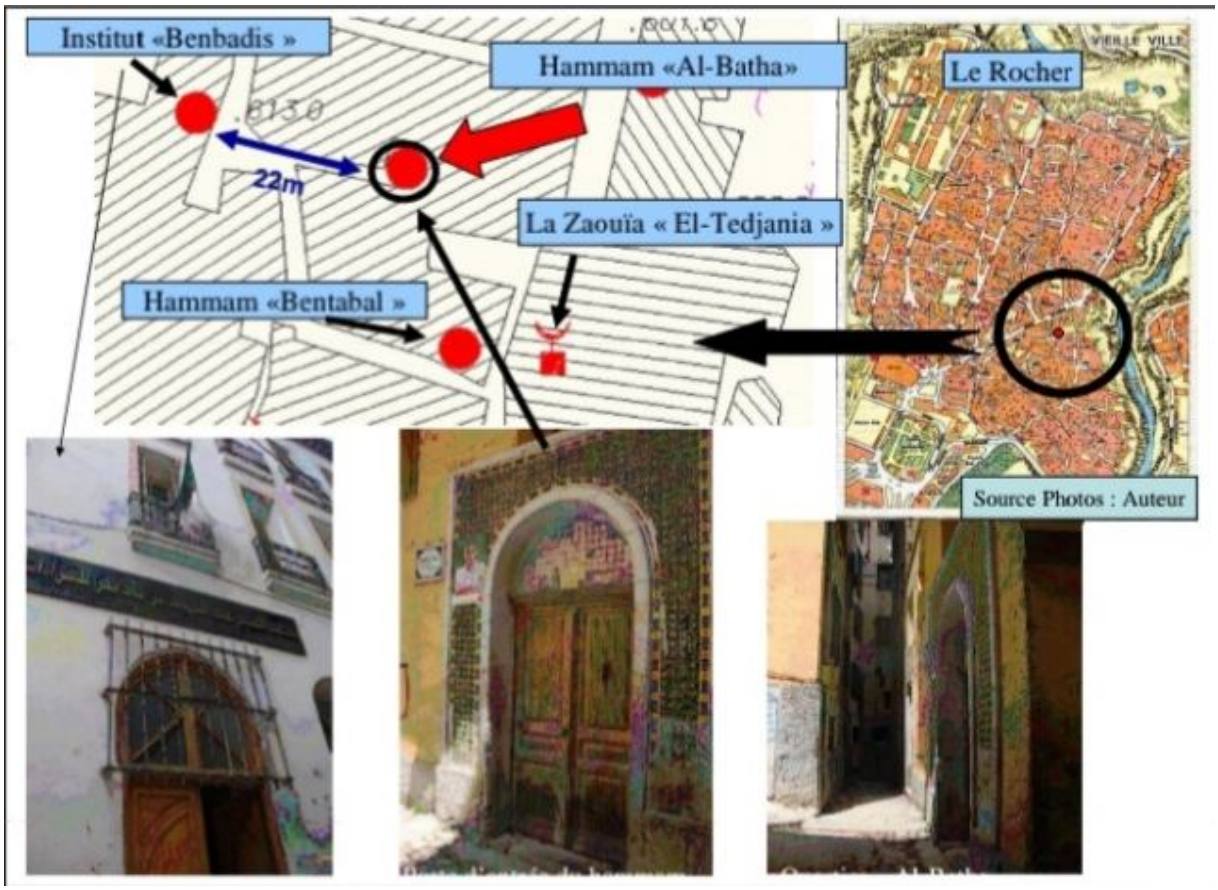

ملحق رقم 9 :

حمام بن طبال نقلا عن نجوى مهني

ملحق رقم 10 :

حمام سوق العصر تقلا عن نجوى مهني

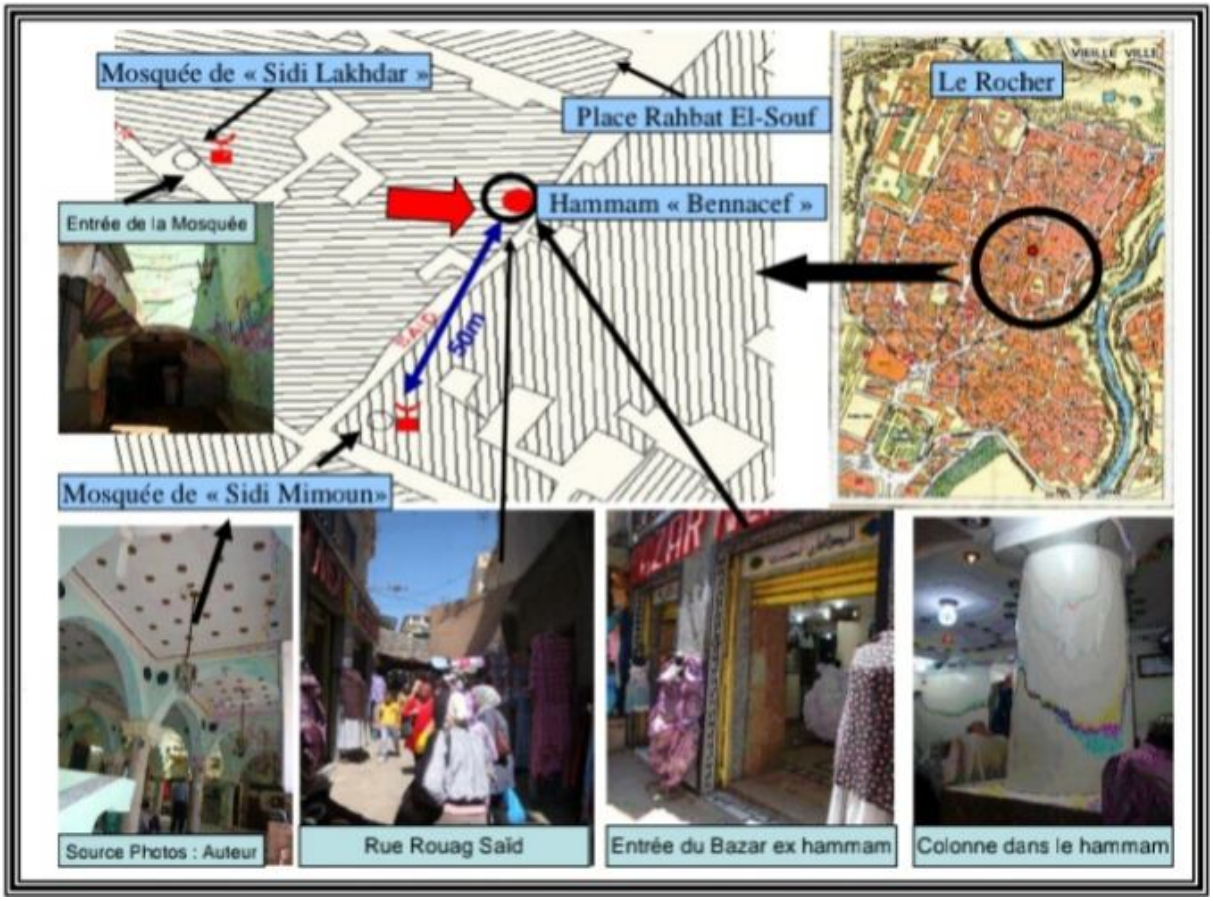

ملحق رقم 11 :

حمام بن ناصف نقلا عن نجوى مهني

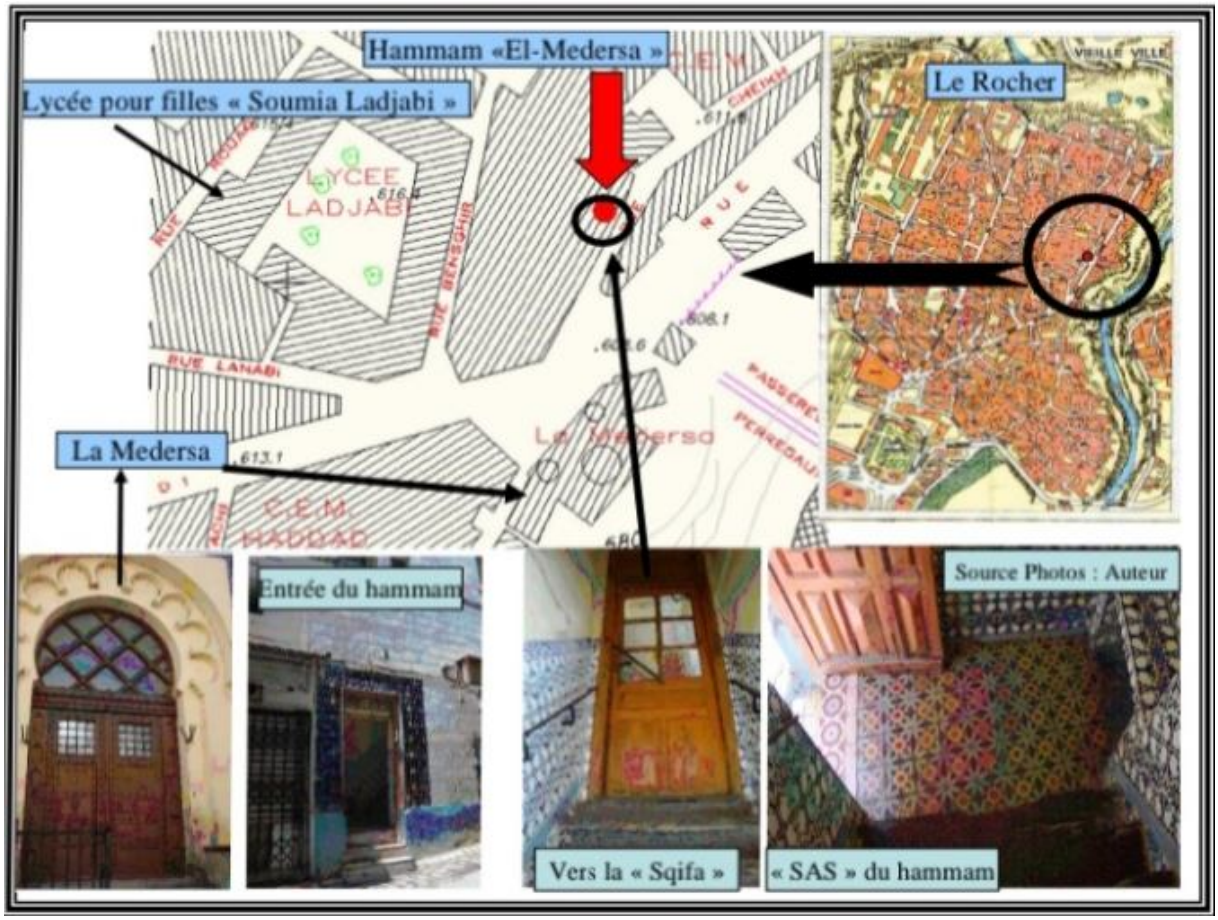

ملحق رقم 12 :

حمام المدرسة نقلا عن نجوى مهني

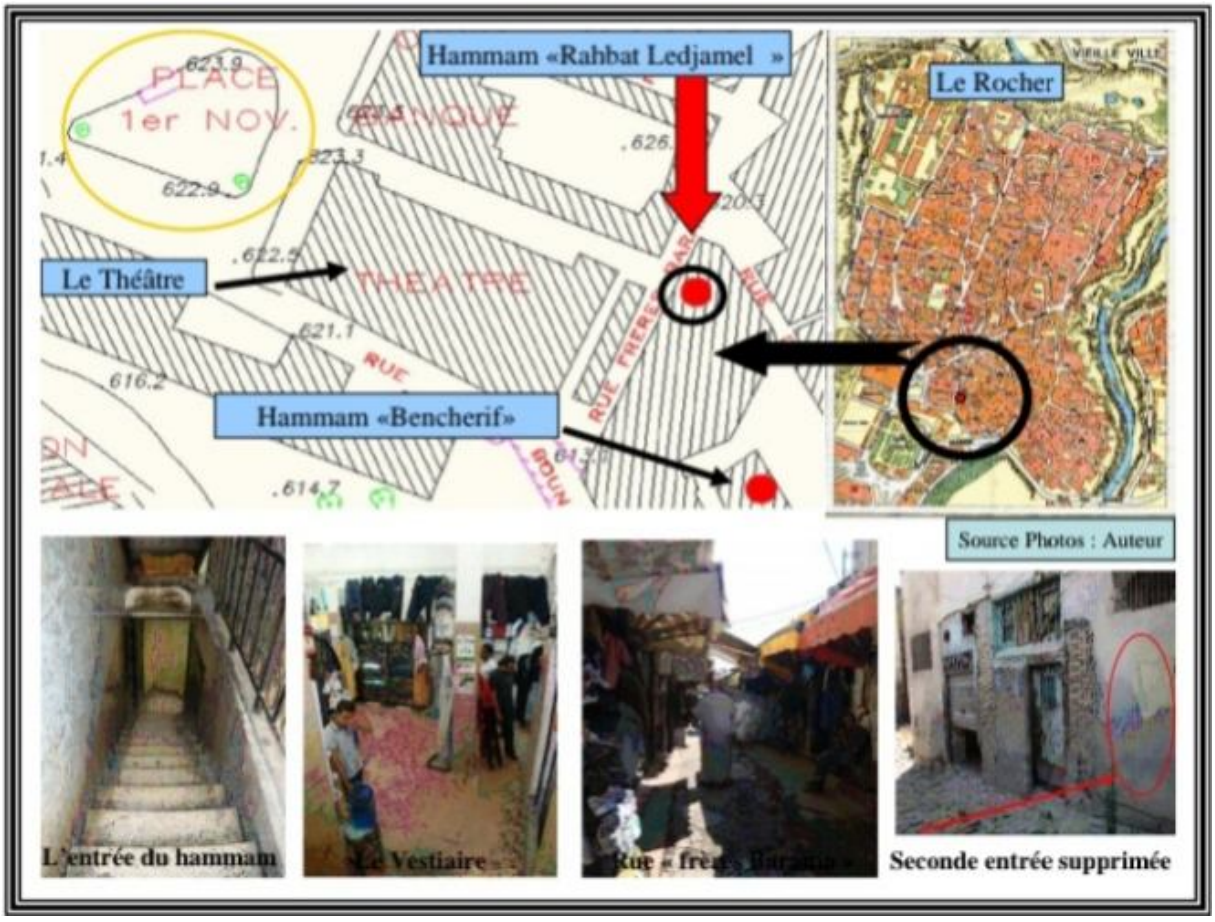

ملحق رقم 13 :

حمام رحبة الجمال نقلا عن نجوى مهني

قائمة المصادر

والمراجع

قائمة المراجع:

1- المصادر:

القرآن الكريم.

1. إبن الجوزي عبد الرحمان، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ج8، (د-ت).
2. أبي حسن علي بن موسى بن سعيد المغربي، كتاب الجغرافيا، تحقيق وتقديم وتعليق إسماعيل العربي، ط1، منشورات المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 1970م.
3. الإدريسي محمد بن إدريس الحموي، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، ج2، مكتبة الثقافة الدينية، (د-ت.)
4. البكري محمد، المسالك والممالك، ج2، تح: أدريان فان ليوفن و أندري فيري، دار الغرب الإسلامي، لبنان، 1992م.
5. الحسن بن محمد الوزان الفاسي، وصف إفريقيا، ج2، تر: محمد حجي الأخضر، دار الغرب الإسلامي، ط2، (د-ت).
6. العطار أحمد بن المبارك، فريدة منسية في حال دخول الترك بلد قسنطينة واستلائهم على أوطانهم.
7. الفكون عبد الكريم، منشور الهداية في كشف حال من ادعى العلم والولاية، تح: أبو القاسم سعد الله، ط، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1987م.
8. برشفيكروبار، تاريخ إفريقية في العهد الحفصي(من القرن 13 إلى نهاية القرن 15م)، ترن حمادي الساحلي، دار الغرب الإسلامي، ط، ج1، لبنان، 1988.
9. بن العنتري محمد صالح، تاريخ قسنطينة، تح، يحيى بوعزيز، ط خاصة، عالم العرفة، الجزائر، 2009.

قـــــائمة المصادر والمراجع:

10. بن ميمون الجزائري محمد، التحفة المرمنية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية، تح وتع: محمد بن عبد الكريم، دار الغرب الجزائري، الجزائر، ط2، 1981م.
11. سبنسر وليام، الجزائر في عهد رياس البحر، تعريب وتقديم عبد القادر زبادية، دار القصبة، الجزائر، 2006.
12. سيدي الحسين بن محمد الورثلاني، الرحلة الورثلانية، نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، مصر، ط1، 2006م.
13. شالر وليام، مذكرات وليام شالر قنصل أمريكا في الجزائر 1824-1846، تعريب وتقديم إسماعيل العربي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، ج1، الجزائر، 1982م.
14. شلوصر فندلين، قسنطينة أيام أحمد باي 1832-1837، ترجمة و تقديم أبو العيد، عاصمة الثقافة العربية، الجزائر، 2007.
15. محمد ابن مرزوق التلمساني، المسند الصحيح الحسن في مآثر ومحاسن مولانا أبي الحسن، تر: ماريا خيسوس بيغرا، تج: محمود بو عيادة الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981.
16. محمد ميمون الجزائري، التحفة المرمنية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية، تح، تع، محمد بن عبد الكريم، دار الغرب الجزائري، الجزائر، ط2، 1981.
17. مؤلف مجهول، كتاب الاستبصار في عجائب الأمصار، تع: سعد زغلول عبد الحميد، الإسكندرية، مصر، 1985م.
18. مؤلف مجهول، مذكرات أحمد باي.
19. هابنستزايت ج- أو، رحلة العالم الألماني:ج.أو هابنستزايت إلى الجوائر وتونس وطرابلس 1145هـ-1732م، ترجمة وتقديم وتعليق، ناصر الدين سعيدوني، دار الغرب الإسلامي، تونس.

2- المراجع:

1. ألتر سامح عزيز، الأتراك العثمانيون في إفريقيا الشمالية، تر: محمود علي عامر، دار النهضة العربية، لبنان، 1989م.
2. الجيلالي بن محمد عبد الرحمان، تاريخ الجزائر العام، ج1، دار مكتبة الحياة، الجزائر، ط2، 1965م.
3. العقبي صلاح مؤيد، الطرق الصوفية والزوايا بالجزائر تاريخها ونشاطها، دار البرق، لبنان، بيروت، 2002م.
4. المدني أحمد التوفيق، كتاب الجزائر.
5. المناوي عبد الرؤوف، النزهة الزهية في أحكام الحمام الشرعية والطيبة، تح وتق: عبد الحميد صالح حمدان، الدار المصرية اللبنانية، ط1، 1987م.
6. الميلي مبارك محمد، تاريخ الجزائر في القديم والحديث، ج2، تقديم وتصحيح: محمد الميلي، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، (د.ت).
7. بالحميسي مولاي، الجزائر من خلال رحلات المغاربة في العهد العثماني، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981م.
8. بورويبة رشيد، الكتابات الأثرية في المساجد الجزائرية، تر: إبراهيم شبوح، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1979م.
9. بوطبة عمار، المجتمع القسنطيني من خلال جريدة النجاح 1919-1956، مطبعة بابل، الجزائر، 2015م.
10. رشيد بورويبة، قسنطينة، سلسلة الفن والثقافة، وزارة الإعلام والثقافةن الجزائر، 1978م.
11. زوزو عبد الحميد، نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر المعاصر 1830-1900، الجزائر، 2009.

36. سامح آلتر عزيز، الأتراك العثمانيون في إفريقيا الشمالية، تر: محمود علي عاصر، دار النهضة العربية، لبنان، 1989م.
12. سعد الله أبو القاسم، تاريخ الجزائر الثقافي، ج2، دار الغرب الإسلامي، ط1، 1998م.
13. سعد الله أبو القاسم، تاريخ الجزائر الثقافي، ج3، دار الغرب الإسلامي، ط1، 1998م.
14. سعد الله أبو القاسم، تاريخ الجزائر الثقافي، ج5، دار الغرب الإسلامي، ط1، 1998م.
15. سعد الله أبو القاسم، شيخ الإسلام عبد الكريم الفكون داعية السلفية، دار الغرب الإسلامي، لبنان، ط1، 1986.
16. سليماني أحمد، تاريخ المدن الجزائرية، دار القصبة، الجزائر، 2007.
17. شاوش صالح وبن شريف مريامة، رحلة في تراث المغرب العربي، تر: محمد هشام بن شريف، تق: مارك كوت، دار بهاء الدين،(دت).
18. شريط عبد الله والميلي محمد، الجزائر في مرآة التاريخ، مكتبة البعث، الجزائر، ط1، 1965م.
19. شهاب الدين محمد بن أحمد الأبشيهي، المستطرف في كل فن مستظرف، المجلد الثاني، دار مكتبة الحياة، لبنان، طبعة جديدة منقحة، 1992م.
20. عميراوي أحميدة، دراسات في تاريخ الجزائر الحديث، دار الهدى، ط2، الجزائر، 2004.
21. غانم محمد الصغير، معالم التواجد الفينيقي البوني في الجزائر، دار الهدى، الجزائر، (دون تاريخ).

قـــــائمة المصادر والمراجع:

22. غانم محمد صغير، المملكة النوميدية والحضارة البونية، دار الهدى، الجزائر، 2006م.

23. غطاس عائشة، الدولة الجزائرية الحديثة ومؤسساتها، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954م.

24. فرحاتي فتيحة، نوميديا من حكم الملك جايا إلى بداية الاحتلال الروماني الحياة السياسية والحضرية (213ق.م/46ق.م)، منشورات أبيك، 2007م.

25. فيلالي عبد العزيز، مدينة قسنطينة تاريخ- معالم- حضارة، دار الهدى، الجزائر، 2007م.

26. قشي فاطمة الزهراء، قسنطينة في عهد صالح باي البايات، منشورات ميديا بلوس، قسنطينة 2005م.

27. كربخال لمارمول، إفريقيان تر: عمد حجي ومحمد زنيبر وأخرون، ج3، دار المعرفة، الرباط، 1984م.

28. كريم فضيلة، موجز تاريخ الحمامات، تر: يوسفي حضرية، دار النشر دحلب.

29. لعروق محمد الهادي، مدينة قسنطينة، دراسة في جغرافية العمران، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1984م.

37. محمد الخضر حسين وآخرون خمس رحلات إلى الجزائر" 1904-1939" قدمها صالح الجابري، دار فارس للنشر، ط1، 2004، الإمارات العربية.

30. محمد بن حسين بيرم التونسي، الحمامات المعدنية، مطبعة السعادة، مصر، ط1، 1908م.

31. محمد بن عبد السلام بن عبد الله الناصري، المزايا فيما أحدث من البدع بأم الزوايا الزاوية الناصرية، تح: عبد المجيد خيالي، دار الكتب العلمية، لبنان،ط1، 2003م.

32. مريامة بن شريف وشاوش صالح، رحلة في تراث المغرب العربي، تر: محمد هشام بن شريف، دار بهاء الدين، الجزائر، (د-ت).
33. مطبقاني مازن صالح، عبد الحميد إبن باديس العالم الرباني والزعيم السياسي، (د-ت).
34. معاشي جميلة، الأسر المحلية الحاكمة في بايلك الشرق الجزائري من القرن 10هـ/ 16م إلى 13هـ/ 19م، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر،(د-ت).
35. هلايلي حنيفي، أوراق في تاريخ الجزائر في العهد العثماني، دار الهدى، الجزائر، ط1، 2008م.

1. Alzieu Eddy.memoire en images. Constantine.
2. Benzeggouta Maamar, cirta_ constantine de massinissa à Ibn badis, constantine.
3. HAEPO de Diego, Topographie et histoire générale d'Alger , Traduit de l'espagnol par monnerau et abrbrugge , présentation de Jocelyne dokh lia : édition Bouchene, 1998,
4. Mercier Ernest , Constantine avant la conquête français, 1887.
5. Mercier Ernest , Histoire de Constantine, interprète traducteur ASSERMENT Chevalier de la légion honneur officier de l'instruction publique, j.MARLE et f. Biron, imprimeurs éditeurs 51, Rue Damrémont.1903.
6. Merdaci Abdelmadjid. Constantine citadelle des vertiges photos kouider metair ; paris.2000.

3-المعاجم :

1. إبن منظور جمال الدين محمد بن مكرم، لسان العرب، مجلد 8.
2. الحموي أبي عبد الله شهاب الدين، معجم البلدان، ج4، دار صادر، بيروت (د-ت).
3. الحموي أبي عبد الله شهاب الدين، معجم البلدان، ج7، دار صادر، بيروت، (د-ت).
4. الفيروزابادي مجد الدين، القاموس المحيط، تح: أنس محمد الشامي وزكريا جابر أحمد، دار الحديث، 2008.
5. بن حسان مصطفى، التاهرتي ثم الوهراني الجزائري، معجم أعلام قسنطينة من صدر الإسلام إلى ما بعد الاستقلال، المجلد الأول، دار الإمام مالك للكتاب، قسنطينة، الجزائر،2015.
6. حسني مختار، موسوعة تاريخ وثقافة المدن الجزائرية، ج1، دار الحكمة ، الجزائر، 2007.
7. رزق عاصم محمد ، معجم مصطلحات العمارة والفنون الإسلامية، مكتبة مدبولي، ط1، 2004م.

4- المذكرات :

1. أرناتن تسعديت، الأسواق في الجزائر خلال العهد العثماني، (1519-1830) مدينة الجزائر نموذجا، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر في التاريخ الحديث، كلية العلوم الاجتماعية والانسانية، قسم التاريخ، جامعة البويرة، 2016-2017م.
2. أعراب فهيمة، ملحق مذكرة التراث والسياحة (من خلال مدينة قسنطينة)، دراسة تاريخية أثرية، بحث مقدم لنيل شهادة الماجيستر في التراث والدراسات الأثرية 2010-2011م.
3. العمري زيان وبن عمراني يوسف، المدينة والريف في الجزائر خلال العهد العثماني 1519م-1836م (إقليم مدينة قسنطينة انموبجا)، مذكرة لنيل شهادة الماستر تخصص

تاريخ الجزائر الحديث، 1519-1830، جامعة محمد بوضياف، المسيلة، 2019-2020م.

4. بن دخة عواطف ، مساجد قسنطينة ودورها في الحفاظ على الهوية الوطنية 1837-1940م، مذكرة ماستر، كلية العلوم الإنسانية، تاريخ عام، جامعة بسكرة، 2018-2019م.
5. بن زيان خيرة، المرأة والحمام " جون روكس" بمدينة بوحجر نموذجا، مذكرة نيل شهادة تسعديت ارناتن، الأسواق في الجزائر خلال العهد العثماني (1519-1830م) مدينة الجزائر، نموذجا مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر في التاريخ الحديث، جامعة البويرة، 2016-2017م.
6. بن زيان خيرة، المرأة والفضاءات الاجتماعية المحلية، دراسة ميدانية لمدينة حمام بوحجر، رسالة لنيل شهادة الدكتراه في علم الاجتماعي، كلية العلوم الاجتماعية، قسم علم الاجتماع، جامعة وهران2، 2016-2017م.
7. بن شاعة آمال، تمثلات المرأة لفضاء الحمام الشعبي في الوسط الحضري، حمام الحياة بمونبليزير، مستغانم نموذجا، مذكرة لنيل شهادة الماستر، كلية العلوم الاجتماعية شعبة علم الاجتماع، جامعة عبد الحميد بن باديس، مستغانم.
8. بورايو عبد الحفيظ ، مدينة قسنطينة في أدب الرحلات، مذكرة مقدمة لنيل درجة الماجيستير في الآداب، جامعة منتوري، قسنطينة، 2007-2008م.
9. حلوة حسينة، دراسة شخصية صالح باي 1771-1792، مذكرة لنيل شهادة الماستر، تخصص تاريخ الجزائر، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة محمد بوضياف، المسيلة، 2018-2019م.

10. سلامة التوفيق، فرج الله أسامة، دراسة وصفية معمارية لمعلم ساحة لبراش بقسنطينة، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية، قسم التاريخ والآثار، جامعة منتوري قسنطينة، 2009-2010م.

11. شيخي سناء ، الحياة الاجتماعية والثقافية في مدينة قسنطينة أواخر العهد العثماني، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر في التاريخ، جامعة عمار محمد بوضياف، المسيلة، 2020-2021.

12. علي زينب وعبد الله مقلاتي، معهد الكتانية بقسنطينة ودوره العلمي والوطني، مذكرة لنيل شهادة الماستر، تخصص تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة المسيلة، 2013-2014.

13. عمارة مريم ، حمام سليمان بتلمسان، دراسة معمارية، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم علم الآثار، مذكرة لنيل شهادة ماستر في علم الآثار، تخصص الآثار المغرب الإسلامي، 2017-2018م.

14. غطاس عائشة ، الحرف والحرفيون بمدينة الجزائر 1700-1830 م، مقاربة اجتماعية، اقتصادية ن أطروحة لنيل شهادة دكتوراه دولة في التاريخ الحديث، ج1، كلية العلوم الإنسانية، جامعة الجزائر، 2000-2001م.

15. فيفي بن قارة محمد، الأسواق التجارية للجزائر خلال العهد العثماني " مدينة الجزائر نموذجا"، مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر في تاريخ الجزائر الحديث، جامعة محمد بوضياف، المسيلة.

16. موساوي عربية سليمة، الحمامات الجزائرية من العصر الإسلامي إلى نهاية العهد العثماني، رسالة ماجيستر، تخصص علم الآثار، جامعة الجزائر، 1990-1991م.

17. نجاة نوارة، الإدارة المحلية في بايلك قسنطينة (1520–1830م)، مذكرة لنيل شهادة الماجيستير تخصص تاريخ الجزائر الحديث، قسم التاريخ، جامعة محمد بوضياف، المسيلة، 2018–2019.

18. هواري العياشي ، المسكن بمدينة قسنطينة خلال العهد العثماني (دراسة تاريخية أثرية)، مذكرة لنيل شهادة الماجيستير في التراث والدراسات الأثرية، جامعة منتوري قسنطينة، 2010–2011م.

19. Mehenni Nedjoua, la reconnaissance architecturale d'un patrimoine socioculturel cas de Hammam Souk el Ghazel de la médina de Constantine, mémoire pour l'obtention de diplôme de magister option : préservation du patrimoine architectural

5- المجلات و الجرائد :

1. المقطوف العادي شتيوي، الحمامات في الحضارة الإسلامية، مجلة كليات التربية، العدد 21، أفريل، 2021.

2. بن حمو محمد ، حمام سوق الغزل بقسنطينة، قسم علم الآثار، جامعة تلمسان، مجلة القرطاس، العدد الثاني جانفي 2015.

3. بن حمو محمد ، خصائص الحمامات العثمانية في الجزائر من خلال نماذج مقارنة بالحمامات المرينية والمرابطية، دورية كان التاريخية، العدد العشرون يونيو 2013، جامعة أبي بكر القايد، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية.

4. بن حمو محمد، حمام سوق الغزل في قسنطينةن مجلة قطاس، العدد الثاني، جانفي، 2015.

قـــــائمة المصادر والمراجع:

5. بودراع سفيان، سيرتا من خلال النقيشات اللاتينية المحفوظة بالمتحف الوطني سيرتا،(قسنطينة).
6. بوطبة عمار ، المجتمع القسنطيني من خلال جريدة النجاح 1919م –1956م، مطبعة بابل، الجزائر، 2015.
7. تاح بن جدو، شهود القبور الرخامية في الجزائر في العهد العثماني، مجلة التراث، العدد4، 2007.
8. خيرة بن بلة وكريمة فليفلة دوادي، الحركة التعليمية ومراكزها بمدينة قسنطينة خلال العهد العثماني، مجلة الدراسات الأثرية، العدد1، 2019.
9. دحدوح عبد القادر ، الأضرحة بالجزائر خلال العهد العثماني، دراسات في آثار الوطن العربي، العدد 18.
10. دحدوح عبد القادر ، الزوايا بالجزائر خلال العهد العثماني، دراسات في آثار الوطن العربي، العدد 19.
11. دحدوح عبد القادر، أسواق مدينة قسنطينة خلال الفترة العثمانية، دراسات في آثار الوطن العربي.
12. دحدوح عبد القادر، المعالم الأثرية الإسلامية لمدينة قسنطينة خلال الفترة العثمانية، مجلة محكمة نص سنوية تصدر عن وزارة الشؤون الدينية والاوقاف، العدد 13، 2015.
13. ديفل سميحة، صناعة الحلي بقسنطينة خلال العهد العثماني، قسم التاريخ والآثار، جامعة عبد الحميد مهري قسنطينة 2، مجلة المواقف للبحوث والدراسات في المجتمع والتاريخ، العدد رقم 11 ديسمبر 2016.
14. رولي رفعت أبو خاطر، الحمامات التقليدية ضمن النسيج العمراني للمدينة الإسلامية، دراسة مقارنة في عدة مدن متوسطية، عدد مزدوج 63–64، جانفي جوان، 2014.

15. زبير زصاني، الحمامات التقليدية بقسنطينة في طريق الاندثار، جريدة المساء، 15 سبتمبر 2021.
16. سعد بوفلاقة، قسنطينة في عيون الرحالة والجغرافيين، حوليات جامعة الجزائر 1، كلية الآداب، جامعة عنابة، العدد 30.
17. شرويك محمد ، جهود محمد الكبير وصالح باي في تشجيع حركة الثقافة والتعليم في الجزائر، مجلة العلوم الانسانية والحضارة، العدد8، جوان 2018.
18. شعباني بدر الدين، مدينة قسنطينة في العهد العثماني، مجلة الدراسات، العدد1، 2020م.
19. طاهري عبد الحليم، حماية المنشأت المعمارية من التخريب والهدم وصيانتها منشأت صالح باي بالشرق الجزائري، (1772-1792)، دراسات في أثار الوطن العربي، العدد 18.
20. عميراوي أحمد ، المجلة التاريخية المغاربة العهد الحديث والمعاصر، السنة الرابعة والعشرون، العددان، 87-88 ماي 1997م.
21. قاصري محمد السعيد ، المدرسة الكتانية بقسنطينة صرح ثقافي يصارع الزيان، عصور جديدة، العدد 18، 2015.
22. قشي فاطمة الزهراء ، معالم قسنطينة وأعلامها، إنسانيات عددان 19-20 جانفي-جوان 2003.
23. قصري محمد السعيد، المدرسة الكتانية بقسنطينة صرح ثقافي يصارع النسيان، العصور الجديدة، العدد 18، أوت ، 2015م.
24. نواري خولة ، الحرف والصناعات في أسواق قسنطينة من خلال مخطوط دفتر أحباسها (القرن 10-11هـ/16-17م)، مجلة روافد، المجلد 03، العدد01 جوان 2019م.

25. نواري خولة، الحرف والصناعات في أسواق قسنطينة من خلال مخطوط دفتر الأحباس، القرن (10-11 هـ/ 16-17م)، مجلة روافد، المجلد3، العدد 1، جوان، 2019.

26. نوري وردة ، " الجامع الكبير بمدينة قسنطينة تحفة تستقبل المصلين منذ 8 قرون"، جريدة الفجر 2011/8/6.www.djaz diress.com.

27. Foura samir , the reuse of hammmam suq the chezal :toward sa sustainable,future.

28. Khedidja adel,Nouria benghabrit, remoum, pratiques et rituels aujaurd huit

الفهرس

الفـــــهرس

العناوين	الصفحة
كلمة شكر	
إهداء	
قائمة المختصرات	
مقدمة	أ-ج
الفصل التمهيدي: التعريف بمدينة قسنطينة جغرافيا وتاريخيا	
المبحث الأول: جغرافية مدينة قسنطينة	**9**
المطلب الأول: الموقع الفلكي	**10-9**
المطلب الثاني: الموقع الإقليمي	**12-10**
المطلب الثالث: المناخ	**13-12**
المبحث الثاني: تاريخ مدينة قسنطينة	**13**
المطلب الأول: قسنطينة عبر تاريخها القديم	**18-13**
المطلب الثاني: قسنطينة عبر تاريخها الإسلامي	**21-18**
المطلب الثالث: قسنطينة خلال الفترة العثمانية	**24-21**
الفصل الأول: التطور المعماري لمدينة قسنطينة خلال العهد العثماني	**29**
المبحث الأول: وصف مدينة قسنطينة.	**30**
المطلب الأول: وصف المؤرخين للمدينة.	**34-30**
المطلب الثاني: أبواب مدينة قسنطينة.	**35-34**
المطلب الثالث: أحياء وشوارع مدينة قسنطينة.	**37-35**
المطلب الرابع: جسور مدينة قسنطينة.	**39-37**
المبحث الثاني: المعالم الدينية لمدينة قسنطينة خلال العهد العثماني.	**40**
المطلب الأول: الجوامع والمساجد.	**45-40**
المطلب الثاني: المدارس	**48-45**
المطلب الثالث: الزوايا	**52-48**
المطلب الرابع: الأضرحة.	**54-52**
المبحث الثالث: المعالم المدنية لمدينة قسنطينة خلال العهد العثماني.	**55**

المطلب الأول: الأسواق.	**56-55**
المطلب الثاني: القصور والمنازل.	**63-61**
المطلب الثالث: الفنادق.	**64-63**
الفصل الثاني: الحمامات العثمانية في مدينة قسنطينة	**68**
المبحث الأول: ماهية الحمام	**69**
المطلب الأول: تعريف الحمام ونشأته.	**71-69**
المطلب الثاني: الحمامات العثمانية بمدينة قسنطينة.	**85-71**
المطلب الثالث: الكادر الوظيفي للحمام.	**86**
المبحث الثاني: الجانب المعماري للحمامات	**87**
المطلب الأول: المواد المستعملة في البناء.	**88-87**
المطلب الثاني: العناصر الزخرفية للحمامات في مدينة قسنطينة.	**89-88**
المطلب الثالث: مقارنة حمامات قسنطينة بحمامات الجزائر (حمام قصر الداي وحمام سوق الغزل نموذجا).	**93-90**
الفصل الثالث: دور الحمامات العثمانية في مدينة قسنطينة	**97**
المبحث الأول: الدور الاجتماعي للحمام.	**98**
المطلب الأول: الحمام كفضاء اجتماعي.	**101-98**
المطلب الثاني: دور الحمام في الطقوس الاجتماعية.	**105-101**
المبحث الثاني: الدور الصحي للحمام.	**105**
المطلب الأول: الحمام مكان للنظافة والاسترخاء.	**105**
المطلب الثاني: الوقاية وعلاج الأمراض.	**109-105**
خاتمة	**113-111**
الملاحق	
قائمة المراجع	
الفهرس	